16 em Année No. 762

Lundi — 9 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

م

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٧٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٧ — ٩ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لوعة صديق على صديقه « إسعاف »

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى بك

يا زعيم العربية ! ، ويا إمام المحققين !

أما وقد حُمّ قضاء الله فيك ، وانفضّ سامرك ، وانطوى بساطك ، وذوى (نُقلك) ؛ فإننى لا أجد ما يصبّرنى عنك ، ولا ما يعزينى فيك ، إلا أن أستعير من بيانك ما أناجى به روحك العذب ، وإلاّ أن أرثيك ، برائيك !...

ألم تهتف غداة مات « شوقى » بشعر شوقى :

« إنما الدنيا شجون تلتقى * وحزينٍ يتأسى بحزين »

« تضحكُ الدنيا احتشاد للبكا * وأغانيها معدات الأنين ! »

ولقد استطعتَ أن تُبهِجَنا ليلتك الأخيرة ؛ لتُبكينا أيامَنا الطويلة ! ألم ترسل فيه اللوعة المريرة ثم تندبه بقول حبيب:

« أُصيبتُ فيـه وكان عندى * على المصيبات أن يُعينا »

« كنت عزيزاً به كثيراً * وكنت صباً به ضنينا »

« آليتُ(١) أنساهُ ما تجلى * صبح نهـار لمدلجينا »

ولقد آلينا لا ننساك ! !

ألم تبعث فيه الأنين الوقّ ، ثم تتمثل بقول (أبى تمام) :

« تذكرت نضرة ذاك الزمان * لديه ؛ وعمران ذاك الفناء »

« وإذ علمُ مجلسه موردٌ * زلال ! لتلك العقول الظّماء »

(١) أى لا أنساه — على حد (تالله تفتأ تذكر يوسف) أى لا تفتأ.

« وكنتُ أراه بعين الجلال * وكان يرانى بعين الإخاء ! »

وإننا لنتذكر ، ثم نتذكر ...

ألم تسكب أنت فى « شوقى » عَبَرَاتك الحرّى ، وروحك الملتاع ، وشمورك المتأجج ، فى فقرات من البيان الذى هو نسيج وحده ؟ كما أنت نسيج وحدك ! فأخذت تهتف ببنات العروبة ؛ ليُسْعِدْنك يوم (شوقى) بالنحيب ، وجعلت تقول :

بلبل (الكرمة) ولّى * أين غاب البلبل ؟ * بهجة زالت وجاءت وحشة ! بمدره العرب قضى * يا فتاة العرب ! * فالبسى ثوب الحداد اذكريه ، اندبيه ، أبنيه * بمراثٍ ، مشجيات ، خالدات !

ولقد حق لنا اليوم أن نهتف فى يومك ، بما كنتَ تهتفُ به فى أمسك !

يا كريم الإخاء ويا سيد الأوفياء : إنى لأُشهِدُ هذا الشعر كله على نفسى كما أشهدته ، وأشهد بيانك الذى أبدعته واخترعته ، أن لوعتى عليك لمشبوبة ، وإن لجيعتى فى علمك وأدبك لا يذهبها كرُّ الغداة ولا مرُّ العشى ! وأنى أصبت فيك ، وأنك لِمدره العرب ، وأنك لبهجة زالت ...

ولقد خدعتنى نفسى ، وأنا أصافحك فى الليلة الموقوتة ، فخيّلت لى عائداً لك ! غداً أو بعد غد ! وإنما خدعتنى قوة نفسك ! ويقظة ذهنك ، وأنك تركتَ الطب وراء ظهرك يعالج ! وأقبلتَ علينا بوجهك تحاضر ! فتقول :

« لقد ذكر القدامى أن الشعراء ثلاثة : المتنبى ، وأبو تمام ، والبحترى . ثم ذكروا الكتاب ؛ فميزوا لنا اثنين : الجاحظ ،

١٧ ـ رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
وزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية

في مدينة لاهور

كانت بوادر الفتن والهرج منتشرة في أرجاء الهند، وكانت لفحات الصيف بين الحين والحين تؤذن باقتراب الصيف، وكان الوقت أضيق من أن يتسع للتجول في أرجاء الهند وإجابة دعوات لزيارة كلكتا بل ما هو أقرب منها مثل لكهنو وديوبند، والله آباد؛ ولكن مدينة واحدة كانت تدعوني دعوة لا أستطيع ردّها؛ كانت مدينة لاهور مدينة الشاعر الخالد محمد إقبال توحي إليّ كل حين أن أزور دار الشاعر وقبره. وكان إعجابي بالرجل وحبي إياه يقضيان بأن أذهب إلى لاهور مهما يضق الوقت وتكثر الدواعي. ولم أجز لنفسي قط أن آتي إلى الهند وأرجع دون أن أزور قبر إقبال وداره في لاهور.

عزمت على السفر إلى لاهور ورأيت أن أهدي إلى مزار الشاعر الفيلسوف هدية من الشعر فنظمت أبياتاً وكلفت نقاشاً أن ينقشها على لوح من الرخام.

* * *

ويوم الإثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ هـ (١٤ نيسان سنة ١٩٤٧)، ركبت القطار الذي يسمى «بريد الحدود» وكان موعد سفره من دهلي الساعة التاسعة فأخذت مكاني فيه وتأخر سفره نحو ساعة. وكان في المقصورة سريران أخذت أحدهما واحتل الثاني ضابط من السيك(١).

ولما أصبحنا نظرت فإذا منظر الأرض أنفر مما عهدت في

(١) سمعت الناس في الهند يقولون السيك بالكاف لا السيخ بالخاء وهي تكتب سكه بهاء في الآخر. وأحسب قراء العربية وجدوها مكتوبة بالحروف اللاتينية Sikh فنطقوها بالخاء كما يتلفظ في Lkh عادة.

وأبو حيّان، فمن هو الثالث؟ ثم تسكت ونسكت!! فلمّا لم تجد منا جواباً! جاهرتَ، وصحتَ: «إنه (الزيات)، إنه (الزيات)، إنه أمير النثر والناثرين، وإنه لسيد البلغاء».

فهل حسبنا وأنت تحاضرنا، أنه لم يبق بيننا وبين أن ينطفئ هذا السراج الوهّاج، إلا سويعات! ألا لشدّ ما تحطّمنا الأقدار، ويسخر منا ومن آمالنا الليل والنهار! لقد وعظتني حيا وميتا! ألم تصحبني لمواساة «آل عبد الرازق» عشية فجيعتهم في (الشيخ الأكبر) فلما جلستَ إلى «علي» اعتلج الهمّ، وكان وجوم، فما راعنا إلا صوتك يقطع الصمت، ويعبّر عن روعة الموت:

«خَرِسَت لعمرُ الله ألسُنُنا * لما تكلم فوقنا القدرُ!!»

إن العربية اليوم لولهى، تتفزع من هول يومك، وإن مصر لحزينة على العالم الأكبر، والباحث الأكبر، الذي سار صوته في أرجائها: «ألا إن محمداً، وذكرى محمد، وقرآن محمد، ولغة محمد، وعربية محمد، وأدب محمد»

«كل ذلك لن يزول، كل ذلك لن يبيد وفي الدنيا مصر(١)»

لقد عرفتْ مصرُ لك هذا الفضل وذلك الجميل، وإن جحده جاحد. فها هو ذا حوها يتلقى أنفاسك الطاهرة، وها هو ذا ثراها يزكو بعظامك، ويستأثر برفاتك، حانياً عليها مزهواً بها! وها هي ذي سحائبها تروّي أجداثك بكرة وعشيا، فلطالما رويت وأبهجت قلوباً، ثم ناضلتَ وجاهدتَ وناضلت لتسود لغة القرآن.

يا شهيد العلم والتحقيق:

لقد رفعك الله مكانا عليًا، وجعل لك في الخالدين ذكراً سرمديًا: وإنك ميت، وإنهم ميتون، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون! ونشهد! ما عرفنا ولا رأينا لك ضريباً، يرسل قلبه في كلامه، ويسكب عقيدته في حديثه، ولا أدركنا أميناً يؤدي أمانة العربية كما أديتها، ولا صادقاً ولا وفياً يتحرق وجداً ببيان القرآن، ولا شجاعاً مغواراً، إذا رأى أو سمع — الهجين — أرسل عليه صيحات من بلاغته، لا بل سهاماً من كنانته ...

إني لأتمثّلُ فيك بقول «الشريف»، كما كنتَ تتمثلُ بقول «الشريف»:

يا ليت أني ما اقتنيتُك صاحباً * كم قُنية جلبتْ أسىً لفؤادي
أعززْ عليّ بأن يفارقَ ناظري * لمعانُ ذاك الكوكب الوقّاد

فيا أرواح الشهداء والمجاهدين: لقد جاءكم روح «إسعاف»، فيا وحشتنا بعده، ويا أنسكم به!!

محمد عبد الرحمن الجبيلي

(١) من كلة الفقيد في مهرجان شوقي بالقاهرة

الطريق بين دهلي وعليكر وأجرا . واجتاز القطار جسورا عدة فوق أنهار . ورأيت محطات القطار أكبر وأعمر والناس أصح وأنظف . فقلت إنه إقليم البنجاب الذي يجري فيه روافد نهر السند الخمسة . وهو معروف بجودة هوائه وقوة أهله وغنائه .

وبعد الساعة التاسعة من الصباح وقف القطار على أمر تسار مدينة السيك المقدسة . ولولا الاضطراب لزرتها . وقد حدثني رفيق الضابط وهو يستعد للنزول في أمرتسار بما فيها من هيج بين المسلمين والسيك .

وكانت وقفة القطار التالية في لاهور ، وبينها وبين أمرتسار مسير نصف ساعة .

مدينة لاهور

هي عاصمة البنجاب . وكان الظن أن تكون عاصمة دولة الباكستان ولكن الحوادث جعلت كراتشي العاصمة اليوم .

وهي على مقربة من الشاطيء الأيسر لنهر راوى أحد فروع السند . وتقع على الدرجة ٣١ من خطوط العرض الشمالي وعلى الدرجة ٧٤ من خطوط الطول الشرقي . فعرضها كعرض القاهرة ولكنها أشد حراً منها ، بل هي من أحر بلاد الهند وإن كان ارتفاعها ١٧٠٦ قدم لتوغلها في البر بعيدة من البحار .

وهي على الهيع من أفغانستان إلى الهند تلتقي بها سكك حديدية . وهي على بعد ١٧٧٠ كيلو من كلكتا و٤٣٨ من دهلي .

وسكانها أكثر من ربع مليون . وتشمل اليوم المدينة القديمة ومحلات حديثة فيها أبنية فخمة .

وهي مركز ثقافة واسعة بها جامعة البنجاب والكلية الأمريكية ومدارس أخرى كثيرة .

* * *

لا يعرف شيء من تاريخ لاهور قبل الإسلام . وفي أساطير الهند أن مؤسسها لوه بن راما بطل قصة الرّمايَنا المعروفة في الآداب الهندية .

وقد صارت ذات شأن في التاريخ الإسلامي منذ فتحت الدولة الغزنوية الأقاليم الشمالية الغربية من الهند . واتخذتها هذه الدولة حاضرة حينما زحزحها الغوريون عن أفغانستان فاقتصر سلطانها على ما فتحته من الهند . وذلك في عهد السلطان مسعود الثالث سنة ٥٥٣ . فهي أول حاضرة لدولة إسلامية في الهند .

وقد تقلبت عليها الخطوب ولقيت من غارات التتار ثم غارات تيمورلنك مالقيت .

ثم اتسعت واستبحر عمرانها ، وازدانت بالأبنية العظيمة الرائعة والحدائق أيام الدولة الإسلامية الهندية الكبرى دولة التيموريين .

استولى عليها ظهير الدين بابر مقيم الدولة التيمورية وتوالى على تعميرها خلفاؤه حتى صارت إحدى المدن الثلاث العظيمة في عهدهم . والأخريان دهلي وأجرا .

وقد أقام بها جلال الدين أكبر سنين كثيرة من سني ملكه . وجعلها ابنه جهانكير العاصمة الثانية (بعد دهلي) . وبها مات وسنذكر قبره من بعد .

وقد بنى فيها هذا السلطان أبنية كثيرة منها القصر الجميل الذي سمي خوابكاه (المنام) ومنها موتى مسجد في القلعة (أي مسجد اللؤلؤة) وقد ذكرنا من قبل مسجدين بهذا الاسم في قلعتي دهلي وأجرا . وهي مساجد صغيرة في القلاع يصلي فيها السلاطين . وقد بالغوا في تشييدها بالرمر وتجميلها .

ومن أبنية شاه جهان ، وهي كثيرة ، الرواق الذي يسمى نولاك (تسعة لاكات) لأنه أنفق على بنائه هذا القدار . واللاك مائة ألف « وكان كله مرصعاً بالجواهر » .

وبنى السلطان أورنك زيب مسجد الجمعة . وهو مسجد فسيح جداً يقال إن السلطان بناه ليسع كل من تجب عليهم الجمعة في لاهور وسيأتي ذكره .

ولما ضعفت الدولة التيمورية وعجزت عن صد المغيرين من إران وأفغانستان أصاب لاهور شر عظيم من غزوات نادرشاه ١١٤٨ — ١١٦٠ هـ والشاه أحمد الدرّاني مؤسس الدولة الأفغانية ١١٦٠ — ١١٨٧ هـ .

ولما قامت للسيك دولة في تلك الأرجاء كانت لاهور عاصمتها حيناً ، إلى أن أزال الإنكليز الدولة وألحقوا بنجاب بالهند البريطانية .

وللسيك فيها آثار لا تدل على براعة في الفنون . وقد مسخت غاراتهم وفتونهم كثيراً من الآثار الإسلامية الرائعة .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

هـــذا زماننا

للأستاذ محمود محمد شاكر

أراد جماعة من الذين كتب الله عليهم أن يرتزقوا باصطناع السياسة، أن يعقدوا معاهدة بينهم وبين بريطانيا يقضون بها فى أمر العراق على ما خيلت لهم أنفسهم وأنفس البريطانيين، ووقف بيفن يتمجد بمن زعم أنه يضع توقيعه الكريم على معاهدة فيها بخس لحقوق العراق! وليس هذا بعجيب من ساسة بريطانيا، فقوام السياسة البريطانية هو الخداع، والإصرار على الخداع، وتسويغ الخداع، حتى يبلغ الأمر مبلغ الصفاقة المهذبة فى عرف الساسة البريطانيين. ولسنا نلوم بريطانيا ولا ساستها على هذا المذهب القبيح، فهم إنما يترفقون إلى غاياتهم بما وسعهم من الدهاء والمكر، ولكنا نلوم أولئك المتبجحين ممن راموا أن يكونوا أهل سياسة فى هذا الشرق العربى أو الإسلامى، إذ يخادعون أنفسهم ويخادعون أهليهم عن فساد بين فى أمر هذه المعاهدات، وهم بذلك إنما يدمرون شعوبهم بما فى أنفسهم من العجز واللجاجة وقلة المعرفة بسياسة الشعوب التى انبعثت من رقدتها مطالبة بالحياة الحرة الكريمة. ومصداق هذا ما وقع فى العراق، فلم يكد يظهر طرف من سر تلك المعاهدة الخبيثة التى أرادت بريطانيا أن تكبل بها العراق، حتى هب الشعب الأبى هبة واحدة فقوض أركان تلك المعاهدة على رؤوس « بناة الإمبراطورية »، وعلى رؤوس أذنابهم من الساسة المرتزقة، فدل ذلك دلالة بينة على عجزهم ولجاجتهم وقلة معرفتهم بسياسة الشعوب الناهضة المريدة للحياة والحرية.

وما الذى كانت تريده بريطانيا من تلك المعاهدة الباغية؟ كانت تريد أن تجعلها مثالا يحتذى فى معاهدات تعقد بينها وبين مصر والسودان، ولبنان وسورية وجزيرة العرب واليمن وسائر بلاد هذا الشرق، فجاءت ثورة العراق فزلزلت قواعد هذا الوهم المنتشر الذى سولت لبريطانيا نفسها أنه بناء جديد تقوم على أساسه سياسة الإمبراطورية البريطانية الحديثة بعد الحرب العالمية الثانية. جاءت هذه الثورة فكانت سنة جديدة فى توجيه سياسة العرب توجيها غفل عنه المرتزقة من السياسيين القدماء فى هذا الشرق، وجاءت فكانت برهانا جديدا على أن الشرق العربى والإسلامى لن ينام مرة أخرى على خدع البريطانيين وخيانة المرتزقة من السياسيين، وعلى أن الحياة التى دبت فى العرب لن تتسكع مرة أخرى فى أوصال هذا الكيان القوى العميق المتراحب، بل سوف تتدفق فى نواحيه كلها إلى أن يستوى عوده على الهيئة التى تجعله كيانا صحيحا فى هذا الكون الذى يغلى من حوله بالثورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

ليس هذا فحسب، بل علينا منذ اليوم أن ننظر ماذا كانت تريد بريطانيا بعقد هذه المعاهدات؟ كانت تريد أن تجمع دول العرب على معاهدات يكون لها فيها الغنم وعلينا الغرم، أى أن بريطانيا كانت تريد أن تستعبد العرب جملة واحدة وتسيرهم فى أغراضها على نظام متفق لا تشذ عن دولة عربية واحدة، سواء أكانت مستقلة استقلالا صحيحا أم كانت مستقلة استقلالا مشوبا بالعبودية للإمبراطورية البريطانية، ومعنى ذلك أيضا أنها تعلم أن العرب سوف ينتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا أمة واحدة، فهى تريد أن تسبق الزمن وتجمع هذه الكتلة الواحدة فى قبضة يديها حتى لا ينتشر عليها الأمر. وهذا غرض بين جدا، ودوافعه أشد وضوحا واستبانة. فهل آن لنا أن نتنبه إلى الوضع الصحيح الذى ينبغى أن تكون عليه مطالب العرب فيأمم بسبيله من إحراز حقوقهم كلها جملة واحدة؟

لقد كتبت منذ سبعة أشهر كلمة فى هذه المجلة بعنوان «شعب واحد، وقضية واحدة»، وذلك فى العدد ٧٣٠ بتاريخ ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٧ قلت فيها: «إن قضية العرب قضية واحدة بينة المعالم: هى أننا لا نريد إلا أن تكون بلادنا جميعا مستقلة حرة، لا يحتل عراقها جندى واحد، ولا تخضع جزيرتها لسلطان ملوك البترول، ولا ينال نيلها من منبعه إلى مصبه سلطان بريطانى أو غير بريطانى، ولا تقع شامها ولبنانها تحت سطوة غاصب، ولا يعبث فى أرجاء مغربها فرنسى خبيث القول والفعل مجنون الإرادة» ثم قلت فى آخرها: «وعن قريب سوف تقول حكومات العرب كلها، وسوف يجتمع رأينا على أننا لن نرضى بأن نجعل

قضيتنا أجزاء يتلعب بها هذا ويلهو بها ذاك . إنها قضية واحدة ، يرفعها شعب واحد ، مطالباً بحق واحد ، هو أننا أحرار في بلادنا».

وأنا لا أنقل هذا لأعرض على الناس شيئاً مما كنت توقعت ، بل لأقول إن السياسة البريطانية قد علمت علم هذا كله ، فهي تريد أن تسبق الزمن لتضمنا في الإصر الشديد الذي يسمى بالمعاهدات ، ولتستعبدنا في أغراضها ، ولتنتقم منا ومن تاريخنا ، ومن قديمنا وحديثنا . وأقول إن ساسة الشرق وساسة العرب لا يزالون يعيشون في غفلة الخيانات القديمة التي تولى كبرها رجال ظنوا أنهم زعماء هذه الشعوب ، أي أنهم قد ملكوا رقابها فهم يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه ، وذهبوا يفاوضون بريطانيا فيأخذون منها شيئاً وينزلون لها عن أشياء كثيرة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، فتبت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، فقد جروا الشرق كله إلى مضلة لا يهتدي فيها سار إلى علم .

ولكن الشعوب العربية كانت أشد منهم قوة ، وأهدى إلى مواطن الحق ، فما كادت تشب الثورة في العراق حتى نادى أهل العراق بالجلاء الناجز «عن جميع البلاد العربية » ، وهذه الكلمة الشاردة هي كلمة الحق التي سوف ينتهي أمرنا إليها ، أبى السياسيون القدماء أم رضوا . فالبلاد العربية من العراق إلى الجزيرة إلى الشام إلى لبنان إلى فلسطين إلى مصر والسودان ، إلى تونس والجزائر ومراكش ، أمة واحدة ، والاستعمار فيها واحد ، ومطالبها واحدة . فينبغي إذن أن تصاغ قضية العرب على هيئة واحدة ، لا في السياسة الخارجية وحسب ، بل في موقفنا جملة واحدة في وجه الطغيان الاستعماري كله ، سواء جاء بهذا الاستعمار بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا أو روسيا أو هولندة أو أية دولة على ظهر الأرض .

وينبغي أن تعدل سياسة الدول العربية جملة واحدة ، فتطالب بمطلب واحد لا تقبل فيه هوادة ولا تخضيعاً ولا مساومة ، هو جلاء الاستعمار عن بلاد العرب كلها . ولقد سبق الشعب العراقي حكومته إلى هذا الرأي ، فنحن نرجو أن يحمل الشعب العراقي حكومته على أن تصرح بهذا المطلب تصريحاً رسمياً في بيان تصدره بطلب الجلاء الناجز عن جميع البلاد العربية ، وتتعهد بأن لا تقبل مفاوضة ولا محادثة ولا محاورة ولا مهادنة في هذا المطلب أبداً . فإذا فعلت العراق ذلك ، فعلى سائر الحكومات العربية أن تصدر مثل هذا البيان الشامل الذي لا يفرق شيئاً بين الوطن العربي كله ولا بين المستعمرين أيا كانوا .

إني أدعو الجامعة العربية ورجال السياسة الأحرار أن لا يفرقوا في الدعوة إلى الحرية ، أدعوهم أن لا يفرقوا قضية العرب أجزاء كل جزء منها يخضع لسياسة تضعف أو تقوى في يد من يتولاها . فقد فهمت بريطانيا هذا ، فأرادت أن تنشئ مثالا يحتذى في المعاهدات التي تعقد بينها وبين العرب ، وأرادت أن تحمل فرنسا وأسبانيا على الاتفاق على أسلوب جديد يصطلحان عليه في الاتفاق مع بلاد المغرب العربي ، يسير على أساس السياسة التي تريدها بريطانيا في اعتبار العالم العربي جملة واحدة تسخَّر في ركاب الاستعمار البريطاني والفرنسي والإسباني . فواجب الجامعة العربية وواجب الحكومات العربية أن تسبق هذه السياسة الأثيمة سبقاً يكفل للشعوب العربية أن تعرف الوجه الذي تسير فيه . فلا مناص إذن من أن تتفق كلمة الدول العربية على أن لا تعقد إحداها معاهدة قط مع إحدى الدول المستعمرة ، وعلى أن لا تقبل تقسيم القضية العربية إلى أجزاء ، وعلى أن تكون دعوتها ودعوة شعوبها صرخة واحدة مجتمعة في وجه الاستعمار على اختلاف ألوانه وأسبابه والقائمين به ، وهي الجلاء الناجز عن بلاد العرب جميعاً ، ثم عن بلاد الإسلام كلها في نواحي الأرض . فإذا توانت حكومات العرب ، وإذا تلجلجت الجامعة العربية ؛ فمنية ذلك أن تفوت على هذه الشعوب زمناً يطول أو يقصر ، كانت خليقة أن تبلغ فيه ما تريد من نيل الحرية الكاملة ، والاستقلال الناجز التام .

إن ضعف القائمين بالسياسة العربية ، لا ينتهي إلا إلى ضياع الوقت وضياع الحقوق . ونحن لا نطالب المستعمرين بشيء ، لأنهم لا يملكون شيئاً هم قادرون على أدائه . إنهم مغتصبون ، ونحن ثوار على هذا الغصب ، وهم طغاة ونحن لا نقبل هذا الطغيان ، وهم يملكون أسباب القوة المادية ونحن نملك أسباب القوة الروحية ، وهم ظلام ونحن لا نرضى بهذا الظلم ، وهم يتحكمون بالاستعمار والاستعباد ، ونحن نتعالى عن الاستعمار والاستعباد . فهذه القوة التي انطوى عليها حقنا ، يقابلها ضعف ينطوي عليه افتياتهم علينا . ومصير ذلك كله إلى الغلبة والنصر إذا أحسن رجالنا الاستعداد لهذه الوقعة الفاصلة في تاريخ البشر .

لم يبق شيء في تاريخ البشر يحمل طابع الفساد والبوار والدمار ، إلا هذا الجشع الذي يحمل أمم الغرب على أن يضموا أيديهم على كنوز العالم ؛ ليقاتل بعضهم بعضاً في حرب مبيدة مدمرة . وقد عرف هذا الغرب أن الشرق كنوز كله ؛ فهو يجاهد أن يستولى عليها بما استطاع من الحيلة ومن اللؤم ، ومن إهدار الكرامة الإنسانية ، ومن قلة المبالاة بإفساد هذا الشرق وإفساد أهله حتى ينال منه منالاً يكفل له حرية التصرف في كنوزه . فعلينا أن نقف حُراساً على كنوزنا لانبيحها بعد اليوم لأحد . وعلى رجال السياسة منا أن يغيروا مناهجهم السياسية تغييراً تاماً يقوم على أساس واحد ، هو أننا لن نعاون هذا الغرب على الفجور في الأرض ، وأننا نمنع عنه مادة الفساد التي يريدها لتدمير حضارات العالم ، وأننا قد عزمنا أن ننشيء مدينة جديدة وحضارة جديدة لا تقوم على الجشع ولا على الاستبداد . وأننا أحرار في بلادنا كل الحرية وإن اجتمعت دول العالم كله على إنكار هذه الحرية . ولا يصل العرب والمسلمون إلى هذا إلا بشيء واحد هو أن تجتمع الكلمة في الأرض العربية والأرض الإسلامية على هذا الشيء الواحد ، وهو أن لامفاوضة ولا معاهدة ولا محالفة ولا مهادنة ، وأن الشرق لن يستقر على قرار حتى يجلو الجنود المستعمرة عن أراضيه كلها ، وأن كل عون للاستعمار في هذا الشرق من الأجانب واليهود الصهيونيين قد كتب عليهم أن يخرجوا من بلادنا إلى حيث شاءوا ، وأننا لن نقبل دون هذا شيئاً يصرفنا عن الغرض الأعظم ، وهو تجديدُ حضارة العالم على أسس من العدل والحق والمساواة والحرية . هـذا هو المطلب الأعظم الذي ينبغي أن توجه إليه سياستنا كلها ، لا تخدعنا عنه خطرفة السياسيين المتهالكين الذين يقولون للشرق : أنت عاجز ، فمن لك ببلوغ هذا المطلب البعيد المغرق في الخيال !

كلا ، ليس الشرق عاجزاً بل هو أهل لما حُمِّل ، وإن تراءى للناس على غير الحقيقة المستكنة وراء هذا الطوفان من الفقر والجهل والفساد . فإذا عزم العرب وعزم رجاله وقواده أن يفعلوا ، فلن يحول بينهم وبين ما يبتغون شيء جل أو تفاقم . بيد أننا اليوم في حاجة إلى الأخذ بهذا المبدأ الواحد ، وإلى إزالة أولئك السياسيين القدماء عن مكان القيادة في بلادنا ، وإلى تقدم الفئة الصالحة إلى هذه التبعة الجليلة لتحملها حملا لايعجزها ولا يصرفها عنه خوف ولا تردد . ولقد سبق العراق ، وسوف تتبعه سائر البلاد العربية والإسلامية ، ولن نلبث قليلا حتى نرى في هـذا الشرق عجائب القوة العظيمة التي انطوت عليها جوانحه ، فلا بدمن أن تفسح الحكومات الطريق للعمل القوى الماضي الذي لا يرتد عن غايته ، ولا بد من أن تدفع الشعوب عن نفسها طغيان السياسيين المخادعين المنافقين ، ولابد من أن يتولى العرب بأنفسهم حل هـذه القضية الواحدة بالصبر والقاطعة ، وبالعزم والجلاد ، وبالتضحية الكبرى في سبيل إنقاذ البشر من فتن كقطع الليل المظلم ، ومن فساد جارف كالسيل المتدفق ، ومن طغيان قذر قد ارتطم فيه هذا العالم القديم الذي قام على أسس فاجرة من الجشع .

أفيقوا أيها الناس ، واستيقظي أيتها الحكومات ، وتقدمي أيتها الجامعة العربية باسم العرب إلى حمل التبعة العظيمة . والزمن أسرع منكم ، فبادروه بالعمل والصرامة ، وبالصدق والإخلاص، فإن حياتكم وحياة أممكم معقودة بشيء واحد ، هو ثباتكم على المبدأ الأعظم ، وأخذكم بالقوة التي استودعها الله في قومكم وغفلتم عنها أجيالا طوالا . هبوا فقد أَنَى زمنكم ، وأعدّكم الله لشيء ، أنتم بالغوه في الناس وفي أنفسكم .

محمود محمد شاكر

لقد مات غاندى !

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

نعم لقد مات غاندى مقتولا ، واغتيل غدراً بيد هندوكية آثمة ، ظنت أن فى موت غاندى استقلال الهند واتحادها ، وفى حياته تعطيلا لهذا الاستقلال وعرقلة لذلك الاتحاد ، فصوبت رصاص مسدسها إلى جسد غاندى الهزيل لتستقل الهند وتتحد .

من العجيب أن يموت ذلك الإنسان الإلهى الذى قضى حياته يمرن الهنود على مقابلة العنف والعدوان والكراهية بالحب والعفو ، ويعودهم اتخاذ السبل السلمية وسائل لنيل جميع أغراضهم السياسية . وعجيب أن يقتل ذلك الزعيم الروحى عنفاً وعدواناً بيد أحد من علمهم اللاعنف والحب والطرق السلمية . وعجيب أن نسمع نحن المصريين عن شعب خاف أن يقضى الصوم على حياة بطله المقدس ، ويخضع لشروطه السلمية لإيقاف الاضطرابات الدينية فى الهند ، ويقبل بعد مدة وجيزة أن يقتله شر قتلة .

إن الأمر يتطلب توضيحاً . ويقوم هذا التوضيح فى أن فى الهند منذ الحرب العالمية الأولى اتجاهين سياسيين : أحدهما اتجاه غاندى وهو ينادى بأنه لا يجب أن نتخذ من السبل لتحقيق أمانينا غير سبيل الحب واللاعنف والمقاومة السلبية السلمية ، أما الاتجاه الآخر فهو اتجاه منافس غاندى الزعيم الهندى الكبير الماهاتما قندهار طيلاق ، وهو عالم رياضى واسع الاطلاع ، ضحى بمستقبله العلمى واعتزل الرياضة وخاض ميدان السياسة ليعمل لتحقيق استقلال الهند . وهو كغاندى لم يكن له مطمع شخصى بل كل ما كان يتمناه أن تفوز الهند باستقلالها حتى يعود إلى أبحاثه العلمية . وكان اتجاه طيلاق السياسى اتجاهاً عملياً بحتاً ، ويرى أن السياسة ليست من أعمال الزهاد والأتقياء ورجال الدين ، ويعتقد أنه لا يجوز تطبيق المبادىء الدينية على الطرق السياسية ويميز بين السياسة والدين ، ولا يتورع — بخلاف غاندى — على أن يسلك أى سبيل مهما تعارض مع التعاليم الدينية ما دام يؤدى إلى استقلال وطنه . فمنده حرية الوطن أجل من الدين ؛ بينما غاندى يؤمن بأن مبادىء الدين أسمى من حبه للهند.

فاختلف غاندى وطيلاق فى أسلوب محاربة المستعمرين : فحارب غاندى الانجليز بقوى الروح وسلاح الحب وبالعصيان المدنى السلمى وكان طيلاق يود أن يحاربهم بالعنف والثورة ، ولكن الزمن لم يمط له فرصة لينافس غاندى طويلا فاختطفه الموت سنة ١٩٢٠ ؛ إذ لو بقى طيلاق حياً لما كان لغاندى غير الزعامة الروحية وكان لطيلاق الزعامة السياسية ، وبموته أصبح غاندى الزعيم الروحى والسياسى جميعاً ردحاً من الزمن .

والئن مات طيلاق فإن روحه لم تمت . بل حاولت مبادئه السياسية أن تظهر فى مناسبات كثيرة ، لولا يقظة غاندى الروحية وقوة تأثيره على الشعب ومقاومته لكل هياج همجى ، وتسليحه الهنود بأسلحة سلمية مثل مقاطعة الانجليز سياسياً واقتصادياً وثقافياً ، ولما لم تفلح هذه المقاطعة فى إخراج الانجليز من الهند كما لم تهدأ من سخط المنادين بضرورة استخدام الثورة فى طرد الانجليز من بلادهم ، اضطر غاندى إلى أن يلجأ إلى العصيان المدنى السلمى ، وظل يشجع قومه على محاربة الانجليز سلمياً ، إلى أن أجبرت الحكومة البريطانية على أن ترد للهند حريتها .

بذلك فازت طرق غاندى السلمية على طرق منافسيه العنيفة وحصلت الهند على حريتها بدون ثورة ولاحرب ، ولكن غاندى إن نجح فى إقناع مواطنيه باتخاذ الطرق السلمية وسيلة لنيل الاستقلال ، فإن قتله يدل على أنه لم ينجح فى إقناع هؤلاء المواطنين باتخاذ الطرق السلمية فى سبيل اتحاد الهند ، ونبذ الحزازات الدينية .

إن الهند بعد أن نالت استقلالها واجهت مشكلة تقسيمها إلى دولتين : إحداهما إسلامية ، والأخرى هندوكية ؛ وسبب ذلك التقسيم يرجع إلى ما بين المسلمين والهندوس من عداء قديم ، نشأ من يوم أن غزا محمود الغزنوى الهند ، وكون إمبراطورية إسلامية فيها وظلت هذه الامبراطورية من بعده إلى أن أتى الانجليز واستعمروا الهند . وفى هذه القرون الطويلة عامل المسلمون من ترك وتتار وفرس الهندوس كما يعامل عبدة الأصنام فقتلوا فيهم وهدموا كثيراً من معابدهم ، وحطموا تماثيلهم وأنزلوا بهم مختلف أنواع القسوة لعبادتهم الأوثان وتأليههم الحيوان ، فولدت

هذه القسوة الحقد والبغضاء ، وظل الهندوس يكرهون المسلمين من عهد الغزنوى إلى الآن .

ولما تحقق استقلال الهند ، وكان الهندوس أغلبية السكان ، خاف المسلمون من انتقام الهندوس ، ووطدوا العزم على أن يكون لهم دولة مستقلة تضم جميع المسلمين وتسمى باليا كستان . ولكن الهندوس يرغبون فى أن تكون الهند دولة واحدة متحدة ولا يرغبون فى أن تكون منقسمة . فما كادوا يعلنون تقسيم الهند إلى باكستان وهندستان حتى أخذت الاضطرابات تنتشر فى بعض المقاطعات الهندية ، وأخذ المسلمون يقتلون الهندوس فى الولايات الإسلامية ، وأخذ الهندوس يذبحون المسلمين فى الولايات الهندوسية مما اضطر غاندى إلى أن يستعين بالصوم على منع تلك المذابح البشرية ، فنذر صوماً طويلا يدوم بدوام هذا الصراع الدموى الذى بين المسلمين والهندوس . ولم يمض على صومه خمسة أيام حتى تعرضت حياته للخطر ، فأنذر الأطباء الذين يشرفون على علاجه ، بأنه إن لم يقلع غاندى عن الصوم ، فإنه يقضى على حياته . فلم يكد زعماء الهنود من مسلمين وهندوس وسيخ يسمعون هذا الإنذار حتى وعدوا غاندى بأنهم سيتعاونون فى الحال على إنهاء الاضطرابات الدينية حتى يسود الود والسلام والحب بين جميع سكان الهند على اختلاف أديانهم . ولكن يبدو أن بعض الهنود الذين يميلون إلى العنف وإلى الثورة وإلى الحرب ، لم يرتاحوا إلى صوم غاندى الذى خلص الهند من المجازر البربرية مع بقائها منقسمة إلى باكستان وهندستان وفضلوا أن يستمر النضال بين المسلمين والهندوس إلى أن تقبل الباكستان أن تنضم إلى الهندستان وتصبح الهند متحدة ، وشمروا فى الوقت نفسه أن غاندى بنفوذه الروحى استطاع أن يخمد حرباً أهلية همجية ويحبط حركة ثورية كانوا يعولون عليها كل التعويل ، فسخطوا على نفوذ غاندى الروحى على الشعب ، وكرهوا أن تحسن معاملة الهندوس للمسلمين ، وترد إليهم مساجدهم التى حولت إلى معابد هندوسية من الاضطرابات الأخيرة ، واحتجوا على أن يكون للمسلمين أى سلطة فى الهند ، فأقدموا على قتل بطل روحى ضحى بشبابه وكهولته فى سبيل الهند ، وفى سبيل إصلاح الهند ، وفى سبيل تحرير الهند ، ورأى أن التعاون بين المسلمين والهندوس أمر ضرورى لاتحاد الهند ، وبدون تبادل الحب بين أهل الهند لن تكون هناك هند متحدة ، فمات غاندى شهيد مبادئه الروحية .

بينما كان منافسوه السياسيون يرون أن القضاء على المسلمين وإبادتهم من الهند أسلم من التعاون معهم ، وأفضل من مبادلتهم الحب فأقدموا على قتل غاندى بقلوب حاقدة لا تقدر عواقب فقده ، ولا تدرك عظم الخسارة التى لا تعوض ، فإن الهند بفقدها غاندى قد فقدت زعيما روحياً ، يفهم تمام الفهم الروح الهندية ، ويملك قوة روحية يعرف كيف يسيطر بها على الهنود ويوجههم الوجهة التى تتفق مع تعاليم الدين الهندوسى والمبادىء الإنسانية ، ويجنب الهند ويلات الثورات وأشرارها . أما الآن فمن يضمن للهند بأن هناك من يحل محله . إن أمثال غاندى لا يظهر إلا مرة واحدة كل عدة قرون فكيف يجل قومه بإبعاده عن الدنيا ؟ أحسب أن موت غاندى ترك فراغاً كبيراً فى الهند فى وقت هى فى أشد الحاجة إليه . إن اغتياله سيورث الهند مشاكل خطيرة ويثير زوابع نفسية متعارضة يخاف منها على مستقبل الهند ، ويقلب آراء بعض الهيئات الهندوسية المتطرفة التى ترى أن الحرب أسرع فى توحيد الهند من أى طريق آخر ، فتعود الهند إلى ما كانت عليه من فوضى ، وتكتسح الاضطرابات الدينية جميع أنحاء الهند بعد أن كانت قاصرة على بعض الولايات ، وتنتصر طرق العنف وأساليب القوة على القيم السلمية التى وضعها غاندى كدستور إنسانى شريف للهند .

(الإسكندرية) عبد العزيز محمد الزكي
ليسانسيه فلسفة

محمد إسعاف النشاشيبي

مدرســـــة أدبية

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

لو شئت أن ترى الأديب الذي يعد بحق عنواناً على «الأدب» لـكان عليك أن تسعى إلى لقاء إسعاف النشاشيبي في مجلسه .

ولـكنه مات ، فاختفت بموته صورة فذة فريدة لن يظفر التاريخ بمثلها . وقد تجد نماذج لـكثير من أدبائنا البارزين ، وصوراً تحاكي أساليبهم وطرائقهم وفكرهم ، ولـكنك لن تعثر مع التنقيب الشديد ، على صورة تشبه إسعاف ، مع كثرة تلاميذه واحتفال مجلسه بالناس ، واطلاع القراء على الإسلام الصحيح من كتبه ، وشوقي وحافظ وغيرهما من خطابه ، ونقل الأديب مما كان يتابع نشره في الرسالة .

ذلك لأنه أعلى من المحاكاة ، وأسمى من التقليد .

ومع ذلك فهو الأديب الذي كما تمثله تمثلت الأدب في الجاهلية وصدر الإسلام كيف كان ، وكيف ينبغي أن يكون . فقد قيل « إن الأدب أن تجمع من كل شيء بطرف » وكان هذا شأن إسعاف النشاشيبي : يحدثك في الفقه والشريعة ، وآراء المعتزلة وعلماء الـكلام ، ونظريات الفلاسفة والحـكماء ، وطرائف الـكتاب ونوادر الشعراء ، مع امتلاك ناصية العربية وهي كما تعلم من أوسع اللغات ، وإلمام بالأدب والعلم والفلسفة في أوربا الحديثة إلماماً يدل على طول الباع وعظيم المنزلة .

فإن قلت : عندنا كثير من الأدباء يجمعون بين هذه المعارف ، ويأخذون من كل شيء بطرف .

قلتُ : ولـكنك لم تحظ بالاستماع إلى إسعاف ، فهو في مجلسه وحديثه غيره في كتبه ومقالاته . والفرق بين هذا وذاك هو الفرق بين المقروء والمسموع ، بين اللفظة وهي على الورق جثة هامدة ، والعبارة وقد خرجت من فمه تمتلئ بالحياة ، وتنفذ إلى القلوب ، وتستقر في الأسماع .

وهل كان الأدب في القديم إلا مجالس وأسواقاً ؟ .

وهو يفسد حين يؤخذ من الـكتب ويحفظه المتأدبون كما تفعل الببغاء .

يُروى أن أفلاطون لم يدوّن دروسه في الأكاديمية ، لأن العلم عنده لا يكون إلا سماعاً أو حواراً .

عرفت إسعافاً منذ بضع سنين في مجلسه بالـكونتننتال ، فـكان حلقة تضم صفوة الأدباء والشعراء ، وهو فيهم درة العقد ، أو كأنه الشمس تحف به الـكواكب .

فإذا جاء ذكر محمد عليه السلام ، قال إسعاف : الله أكبر نبي الإسلام .

كان يتغنى بهذا الدين ، ويترنم باسم الرسول .

وفي ذلك ألف كتابه « الإسلام الصحيح » . نفدت طبعته ، وكان يفكر في إعادتها بعد إضافة شواهد وتعليقات جديدة من خمسمائة مرجع . ولا يهولنك هـذا الرقم ، فهو حقاً عظيم الإحاطة واسع الاطلاع .

أراد أن يهدي إلى هذا الـكتاب ، ولـكنه لم يكن يملك منه نسخة واحدة . وسعيت أن أجد منه نسخة فلم أعثر . وسمع الأستاذ عادل زعيتر بطلبي فقال عندي نسختان فأرسل يطلب من فلسطين واحدة هي الآن في حوزتي . تقرأ في استهلال الـكتاب « الإسلام هو الدين الحق [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه] ومحمد خير الخلق . وهذا الـكتاب ، وهذا الأثر ، وهذا تاريخ البشر . فاقرأ كتاب كل دين ، وانظر أثر كل عظيم ، وفتش صحف التاريخ . واحكم إن كنتَ من الحاكين » .

هذا شعر منثور .

وهذا كلام لا يجري به القلم أو ينطق به اللسـان ، بل هو صدى القلب ، وقبس من نور اليقين .

ما كنت تسمع في مجلسه إلا اعتزازاً بالعروبة ودفاعاً عن الإســـلام الصحيح . فهو حلقة أو مدرسة سرت روحه في شباب الجيل .

طيب الله ثراه ، وأدخله فسيح الجنات .

أحمد فؤاد الأهواني

الله وفلسفة الوجود

للأســـتاذ نقولا الحداد

حتى كتابة هذه السطور لم أطلع على « العقدة المنحلة » التى تفضل بها الأستاذ الكبير العقاد على الرسالة لأنه لم يأت دور الرسالة فى مطالعاتى إلاّ اليوم.

لم أدر لماذا زج الأستاذ الكبير بالفيلسوف القديم فيثاغوراس فى مناقشته لمقالى الذى نشره المقتطف فى أول هذا الشهر يناير بعنوان « الله وفلسفة الوجود » . راجعت مقالى فلم أجد فيه ذكراً لفيثاغوراس الفيلسوف الذى سبق المسيح ببضعة قرون. فما الذى حدا الأستاذ الكبير أن يقول : « إنى أرى أن فيثاغوراس لم يكن إلا مخرفاً سخيفاً حين قال أن الكون عدد ونغمة » .

لم أذكر فيثاغوراس فى مقالى الذى رد عليه الأستاذ ولم أقل هذا القول وإنما الآن أقوله ولعلى قلته فى مناسبة قديمة لا أتذكر

فيثاغوراس لم يكن فيلسوفاً فى عرفنا اليوم وإنما كان عالماً رياضياً فى عصره وله قضية خالدة هى قضية مربعات أضلاع المثلث القائم الزاوية . ولا تذكر هذه القضية إلا مقرونة باسمه . والظاهر أن تعمقه فى الرياضيات ساقه فى تبحره فى الكون إلى الظن أن العدد هو أصل الهيولى ، أى المادة الأصلية . وربما كان هذا القول السخيف ، بل لا شك أنه كان معقولا عند قومه وفى عصره حين لم يكن معروفاً عن المادة إلا ظاهرها . وفلسفة فيثاغوراس هى أن المادة مؤلفة من العدد « سبعة » لأن هذا العدد موجود فى كل ظاهرة من ظاهرات الكون . فالسيارات سبعة فى زمانه . والأنغام فى السلم الموسيقية سبعة وألوان الطيف الشمسى سبعة ، وأيام الأسبوع سبعة ، والسموات السبع الطباق سبعة إلى غير هذا مما كانوا يعرفونه . فالعدد سبعة المقدس هو أصل الهيولى .

وأستاذنا الكبير العقاد يرى رأى صديقه المغفور له الأستاذ فيثاغوراس وبينهما نحو ٢٥ قرناً تقريباً . وهو يريد أن يؤيد هذا الرأى العتيق بالعلم الحديث الذى اكتشف أن المادة مؤلفة من ذرات مختلفة العناصر عددها ٩٢ ذرة ، والذرة مهما اختلف عنصرها مؤلفة من ثلاث ذريرات البروتون والألكترون والنيوترون . ولكن خاب التطبيق بين فلسفة فيثاغوراس وعلم هذا العصر .

فالمادة بحسب صديق الأستاذ مؤلفة من سبعة ، وبحسب رأى العلم الحديث مؤلفة من ثلاثة . وإنما هو « العدد » على كل حال . العدد الذى يتعلق به الأستاذان طرفا تاريخ الفلسفة .

لم أقل فى حياتى أن فيثاغوراس كان مخرفاً . وإنما أقول الآن أن الفلسفة السبعية على ضوء العلم الحاضر سخيفة ، وكل قارىء يقول أنها سخيفة . فإن رام الأستاذ الكبير تقريرها وأن يؤيد نظرية الالكترون بها فرحى .

ولو كانت نظرية فيثاغوراس تؤيد نظرية الالكترون لأمكن الميكانيكيين لعهده أن يخترعوا القنبلة والطاقة الذرية ، ولكان العالم الأرضى اليوم غير ما نراه

ولكن إلى الآن لم أفهم ما الذى زج بفيثاغوراس هنا فى هذه المناقشة ولم يرد له ذكر فى مقالى المنشور فى المقتطف . وكأنى بالأستاذ الكبير يختلق لى تهمة لكى يحاسبنى عليها ويجعلنى خصما . وأيم الله ما قصدت فى تعليقى على « كتاب الله » خصومة . وليس بينى وبين الأستاذ العقاد إلا كل وداد وهو يعلم جيداً أنى أجله وأقدر علمه . ولو لم تسقط جملة طويلة برمتها من مقالى فى المقتطف لتأكد مقدار اعتبارى له . ولا أرى فى ذلك التعليق ما يمس عواطفه الرقيقة .

والواضح أن الأستاذ الكبير يصعب عليه جداً أن يحاسبه محاسب من القراء على بعض ما يكتبه أحياناً مصيباً كان أو مخطئاً

العصمة لله يا كبير الكتاب

إن مليكان وادينجتون وجينز وغيرهم من علماء العصر هم أساتذتى العظام وأساتذة كل طالب علم . ومنهم استمددت معلوماتى المتواضعة ، وإذا كان الأستاذ الكبير يدرس هؤلاء العلماء الأعلام جيداً يفهم مقالى تمام الفهم .

فلو درس جينز وادينجتون واينشطين ونيوتن ورصل وأمثالهم لعلم لماذا سرعة النور لا تتغير فى الفراغ المطلق بل تتغير بمرورها فى وسط مادى كالزجاج والهواء والماء ، ولعلم لماذا لا يسير النور فى خط

مستقيم ، ولماذا لا ينتهي خط النور في مكان معين أو أين ينتهي لأن النور يسير منحنياً بفعل جوٍّ جاذبي لأنه خاضع لتأثير الجاذبية فهو يدور حول ذلك المركز الجاذبي ولا ينتهي في مكان ، ولعلم لماذا الكهرطيسية تتموج ولا تستقيم ، ولعلم أشياء كثيرة . ولكل ظاهرة طبيعية سبب ولا بد من سبب ، وصار العلم الآن يوضح لنا معظم الأسباب ولا زلنا نجهل كثيراً منها .

لا تدبير في الكون ولا مصادفة ولا فلتة على الإطلاق يا أستاذ لأن للكون سنة رتبها الله منذ الأزل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فالقوانين الطبيعية التي يجري عليها الكون منذ الأزل وإلى الأبد لا تتغير . وإذا كنا في بعض الأحيان لا نعرف بعض القوانين أو لا نرى الظاهرة الفلانية تنطبق على قانون فليس المعنى أن حركات الأكوان غير منطبقة على قانون أو هي مصادفات أو تدبيرات أو فلتات .

فما لا نستطيع تعليله فلأننا لا نعرف بالضبط القانون الذي يمشي عليه ، ولابد أن يعلمه علماء المستقبل .

وإذا اطلع الأستاذ على كتاب « كيف يعمل العقل » لجود فلعله يفهم شيئاً على صلة العقل بالمادة ، وهناك مؤلفات أخرى تبين لك أن العقل إنما هو وظيفة من وظائف الدماغ ، ولهذا نرى بعض علماء العقل أن ينقل البحث في العقل إلى علم الفسيولوجيا هذا موضوع حديث سيوفيه العلم في المستقبل القريب أو البعيد وقد استدركت في مقالتي أن البحث في هذا الموضوع ليس في طوقي

لا يسع المقام أن أرد على كل نقطة من مقال الأستاذ الكبير وإنما أرده إلى نفس مقالي الذي ناقشني فيه . ففيه كل ما يريد أن يعرفه وفيه الرد على كل ما قاله في مناقشته اللهم إلا صديقه فيثاغوراس . فيه « السؤال وفيه الجواب » . وهو بعض العلم لمن يريد أن يعلم فلا لزوم للاعادة .

قال الأستاذ العقاد « إن الأستاذ نقولا الحداد لم يرزق بداهة فلسفية كبداهة فيثاغوراس (ولا كبداهة صديقه الأستاذ الأكبر) ولم يرزق نظرة علمية إلى ما وراء الظواهر » سبحان الرازق .

ولكنه رزق من العقل ما رزق الناس وهو يكفيه أن يفهم أن القول بأن المادة مؤلفة من العدد والنغم سخافة ليس بعدها سخافة ولكن الأستاذ الكبير رزق من البداهة الفلسفية أن فلسفة فيثاغوراس هي وحي أزلي أبدي سرمدي ، وبها تفسر نظريات العلم الحديث ، ومهما تقدم العلم وتجرد من السخافات القديمة تبقى هي الوحي العلمي الفلسفي الذي يهتدي بنوره . فهو إذا شاء الكلام بموضوع طريف رجع إلى فلسفة فيثاغوراس المقدسة .

فكيف تبقى الرجعية في العلم

إن التهكم يا أستاذ ليس برهاناً ولا حجة ، وإن كان في مقالي في المقتطف ما يشتم منه رائحة التهكم فاستغفر . لم أقصده . ولكن ليس فيه شيء منه . والسلام عليك ونحن صديقان ...

المكان والعدم المطلق :

بعد كتابة ما تقدم اطلعت على مقال الأستاذ العقاد (ولا أقول الأستاذ الكبير لأن كلمة العقاد أكبر من الكبير) في ٢ فبراير من الرسالة فإذا بالأستاذ يختلق لي تهمة أخرى لكي يحاسبني عليها . وهي زعمه أني قلت : « أن المكان هو العدم المطلق » .

لم أقل هذا القول . ولكن الذي قلته بهذا الشأن هو في صفحة ٣٠ من مقتطف يناير بحروفه .

« لولا حركة المادة لما كان زمان . وكذلك لولا وجود المادة لما كان مكان .

« فوجود المادة خلق المكان . وحدوث حركة المادة خلق الزمان » .

« تصور جميع أجرام السماء وذرات الأرض غير موجودة . فكيف يتراءى لك المكان — الحيز الذي كانت المادة تشغله — ألا يهولك العدم المطلق ؟ وما هو العدم المطلق ؟ هو اللاشيء . فالمكان (بلا مادة) إذن لا شيء . هو العدم . غير موجود . لماذا ؟ لأن المادة تجعل للمكان حدوداً . فإذا زالت المادة زالت الحدود ، فكيف تفهم المكان بلا حدود » .

« نوجز القول : المادة أوجدت المكان . وحركتها أوجدت الزمان . فالمكان والزمان لولا المادة وحركتها هما عدمان » .

هذا نص ما قلته في مقالي في المقتطف . فهل يستفاد منه : « أن المكان هو العدم المطلق ؟ »

إذا فنيت المادة التي تشغل المكان فنى المكان بفنائها . فهو بلاها عدم

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٣ ، ٤ ، ٥)

الحـــرية

للأستاذ كمال دسوقي

٣ — الحرية بوجه عام :

بينا فيما مضى طبيعة الصراع بين الرعايا المحكومين والسلطات الحاكمة ، وقلنا إن الأمر هنا يتعلق بتعارض المنافع الفردية والحرية الشخصية من ناحية ، والحكام بوصفهم ممثلي المجتمع المعبرين عن رغباته ، والقائمين على تحقيق المنافع العامة بالحد من الحرية الفردية من ناحية أخرى . وقلنا كذلك إن الشعوب لم تفتأ تحاول الحد من سلطان الحاكم عليها ، بأن تحمله على أن يقطع على نفسه عهوداً ومواثيق حيناً ، وبأن تشترط موافقة الأمة ممثلة فى هيئاتها حيناً آخر ، لتضمن فى الحالين عدم استبداد الحاكم واضطهاد الرعية.

وكلما زاد فهم المحكومين لطبيعة الحاكم بوصفه ممثل إرادتهم، قلت مسافة الخلف بينهما ، لتتحد إرادتهما ، ورأى المحكومين بالتالى أن يفوضوا إلى الحكام أمرهم ، ويركزوا فى أشخاصهم سلطتهم — ثم يحاسبوهم أو يعزلوهم إن لم يكونوا لذلك أهلا ، ولكن هذا الحكم الذاتى — حكم الشعب نفسه Self government لا يلبث أن يتكشف عن مجرد إرادة الأغلبية ، ويبدو هذا الاستبداد من الأكثرية — ولو أنه الديمقراطية حقاً — إجحافاً بحرية الأقلية أصحاب المصالح أيضاً التى لا تتفق معها فى الرأى ، ويصبح طغيان الأكثرية هذا خطراً دونه خطر استبداد الحكام وموظفيهم ، لأنه يصدر عن الشعور العام والاتجاه السائد لغالبية المجتمع . فثمت خطران يتهددان حرية الفرد : الاستبداد السياسى من الحكام ، وطغيان أكثرية المجتمع . التوفيق بينهما مستحيل، كما أن تعيين قواعد السلوك التى يتحتم علينا اتباعها بقوة القانون أو المجتمع حتى لا تتعارض الحريات هى مشكلة المشاكل . لا يتفق فى تحديدها جيلان متعاقبان ، أو شعبان فى جيل واحد .

ولما قال اينشطين Space Substance . عنى المكان المشغول بالمادة . ولم يعن الفراغ المطلق . فمتى قلنا « المكان » عنينا مكاناً مملوءاً مادة . وإذا قلنا فراغاً مطلقاً Sace Absoelute عنينا أن لا مكان موجود . ولكن لا فراغ مطلق فى الوجود . المكان موجود حتماً لأن المادة موجودة . ولا عدم فى الوجود .

إذن أصبح كل ماقاله الأستاذ الكبير بهذا الشأن « لا أقول فضولا لأن فيه فوائد للقارىء ولى » بل أقول لم يعد تفنيداً لما قلته بل لما لم أقله .

أما تعريفه للموجود والمعدوم والمعلوم والمجهول فقد عرف القراء ما قلته وما قاله فلكل قارىء أن يقبل هذا أو ذاك .

وأما قضية أن الإنسان يتكلم لأنه يفكر أو بالعكس فلم أتعرض لها البتة . فلا أدرى لماذا جعلها الأستاذ موضوعاً للنقاش

كان مطلع مقالى فى المقتطف : « منذ مدة كتب الأستاذ العقاد فى الرسالة أنه « صار عندنا فلسفة » والآن صار يمكننا أن نقول إنه صار عندنا فلسفة وفيلسوف» أى بعد صدور كتاب الله.

ولكن لسوء الحظ سقطت العبارة الأخيرة والمصحح لم يفطن لسقوطها . وغرضى من هذه الإشارة إليها الآن أن أؤكد للقارىء اعتبارى العظيم لعلم العقاد واتساع دائرة معارفه وأهليته لخوض المسائل الفلسفية

وما تصديت إلى التعليق على بعض نقط فى « كتاب الله » إلا لأنى كنت أملك شيئاً من « العدة » لهذا التعليق . فلا أدرى كيف استنتج الأستاذ « من كلامى » أنى لم أشتغل فى المباحث الفلسفية ، ولم أعود عقلى أن يعطيها حقها من التقدير الواجب والتأمل الطويل ، وإنى لا أملك العدة التى تعيننى على النقد والتمحيص

نعم لم أكتب فى الفلسفة يا سيدى الأستاذ . ولكن ما أدراك إنى مطلع على بعض كتب الفلسفة البحتة التى اطلعت أنت عليها ككتاب « المرشد إلى الفلسفة » للعلامة جود أستاذ الفلسفة فى جامعته وكتاب « قصة الفلسفة » للعلامة ول دورانت . و« العلم والفلسفة » لكبير العلماء جينز (رحمة الله عليه) القضايا الفلسفية لبرتراند رسل وقد درستها غير مرة

فلا أظننى بعد هذه الدراسات كنت خلواً من « العدة » للتعليق على بعض نقط « كتاب الله » مع ذلك لا أقول أن هذه العدة المتواضعة تعصمنى . والعصمة لله وحده . نقولا الحداد

وآفة هذا كله أن الناس يسلكون وفق أهوائهم غير المعقولة ، وقد يمززونها بأهواء غيرهم لتتخذ صورة إجماعية مقبولة ، بالإجماع لا بالمنطق ، وإن كان مصدرها في واقع الأمر وهما أو عاطفة ، أو خرافة أو هوى ، أو خوفا وحسدا ، أو كبرا وبغضاء ، أو أنانية ونفاقا ، أو تملقا لعواطف السادة وتقربا إلى الحكام ، إلى غير ذلك من وسائل المنفعة الذاتية المشروعة وغير المشروعة ، ولكنها مع هذا — بحكم العادة — تصبح ذات أثر بليغ في تحديد السلوك والآداب وتقاليد المجتمع ، وخصوصاً أن الحكام لم يحاولوا مراجعة هذا المبدأ — مبدأ التشريع على أساس العاطفة الجماعية كما رأينا — بل أخذوه قضية مسلمة ، وشرعوا ينظرون في تفاصيل الأمور التي يرضى عنها أو يعاقب عليها المجتمع على هذا الأساس ، ويضرب «مل» مثلا لخطر استبداد الأكثرية بدافع الهوى ، مسألة العقائد الدينية وتعصب الجماعات فيها .

ومجمل ما يقرره المؤلف في « تمهيد » كتابه بعد ذلك ، يتلخص في القضايا التالية .

١ — سلطة القانون في بلاده أقل نفوذاً من سلطان الرأي العام الذي يجعل من الحكومة خصما له ، ومهدداً لحريته ، وإن كان القوم بين مؤيد لتدخل الحكومة في حرية الأفراد ، ومعارض لهذا التدخل — لم يضعوا له قاعدة مقررة .

٢ — منع الفرد من الإضرار بغيره هو المسوغ الأوحد لتدخل السلطات في حرية مواطن متمدين ، وفيما عدا هذا ، فللإنسان مطلق التصرف في جسمه وعقله ، وما لم يخرج عن دائرة شخصه فلا سلطان للمجتمع عليه . ويستثنى من ذلك من لا يزال قاصراً من الأفراد والجماعات ، فإنه يجوز استبداد حكامهم حتى ينضجوا ويصلحوا .

٣ — ومع أن الحرية حق طبيعي يعود على الفرد بالمنفعة الشخصية ، فإن للمجتمع أن يجبر الفرد على الدفاع الوطني والشهادة أمام القضاء وعمل البر وهي أمور واجبة عليه ، ويحاسبه إذا امتنع عنها أو قصر فيها ، أو أهمل فعلها فترتب على الإهمال نتائج خطيرة عن طريق القانون أو سلطة المجتمع ، إذ الأمر هنا يتعلق بالصالح العام المقدم على المنفعة الشخصية ، وفيما عدا هذا لا يتعرض المجتمع لحرية الفرد .

٤ — وثمت أحوال يكون فيها الفرد مسئولا أمام المجتمع ؛ ولكن مسئوليته تحيط بها ظروف وملابسات تجعل من الخير تركه وشأنه ، فهنا يجب ترك الفرد لضميره يحكم عليه ويؤاخذه .

٥ — أما الأحوال التي لا يجوز للمجتمع أن يتدخل فيها ما لم تؤثر في الغير تأثيراً مباشراً فهي حرية الاعتقاد والفكر والميل والشعور ، والتعبير عنها ، وحرية الأذواق والمشارب ، ثم حرية الاجتماع والتعاون .

٦ — يقاس رقي المجتمع بمبلغ تحقيق هذه الحريات ، وما لم تكن الدولة في خطر فليس ثمت ما يبرر تدخلها في أخص شئون الأفراد الذاتية ، مهما يكن أمر دعاة سيطرة المجتمع أمثال أوجست كونت وغيره .

٤ — حرية الرأي وحرية التصرف :

وبعد تلخيص هذه المقدمة يقبل على الفصلين الثاني والثالث ، وهما أهم فصول الكتاب ، وأنضج آراء المؤلف ، وأكثر الكتابات قيمة لمن يحاول الدفاع عن الحرية الشخصية في الفكر والعمل ، أولهما يتناول بالحديث حرية الرأي والاعتقاد ، والتعبير عما نفكر بالمناقشة أو الخطابة أو النشر . وثانيهما يعرض لحرية التصرف والفعل والتنفيذ في حيز العمل كما هو في حيز القول ، ما دمنا لا نتعارض في هذه أو تلك مع الصالح العام .

وما الذي يسوغ لحكومة أيا كانت أن تقيد تفكيرنا أو تحملنا على ما لا نريد من الرأي ، ولو كان ذلك بإرادتنا ؟ إن الحقيقة في مسائل الرأي ليست من الجلاء بحيث تكون دائماً مع الحكام ، ويكون المحكومون — فرداً أو جماعة — هم المخطئين ، وحتى لو جاز ذلك ، فتدخل السلطات لمنع الخطأ هو سبيل انتشاره . حقاً إن الناس كثيراً ما يتعصبون من الناحية العملية — وإن أنكروا ذلك جدلا — لآرائهم التي يهديهم لها محض الصدفة أو مجرد الإجماع — كأنما هم معصومون من الزلل ، ولكن هذا الخطأ في استعمال العقل لا يدعو إلى تحريم التفكير أصلا ، وكل ما في وسعنا أن نهيب بالأفراد والحكومات أن يبذلوا كل جهد للوقوف على الحقيقة والتيقن منها قبل نشرها وإذاعتها — فحرية المعارضة والمناقشة هي وسيلة الصواب واليقين ،

وما دامت أخطاؤنا وهفواتنا لحسن حظ البشرية وصلاح أمرها — قابلة للتقويم والتعديل فينبغى أن نطلق للأفراد أكبر حرية فى الفكر والمناقشة حتى يتأدوا إلى الحقيقة التى تصلح من أخطائهم، وتردهم إلى الصواب .

ولإطلاق حرية المناقشة — فوق تحقيق الميزة الجوهرية للعقل الإنسانى بتقويمه وتعديله التى قدمنا — ميزة أخرى موضوعية تتعلق بالشىء ذاته موضع المناقشة ، فإن ثباته للجدل حوله والمناقشة فيه وسيلة الثقة به والاطمئنان إليه ، إذ أنه لو كان ثمت حقيقة نستطيع أن نهتدى إليها ، فلن نصل فيها إلى اليقين المطلق، بل لما يشبه اليقين ويظن به الصواب ، وحتى هذا القدر لن نصل إليه بالتقييد والتحريم ، بل بإفساح مجال الدرس والمباحثة ، فنصلح تفكيرنا ، ونقوى فى الوقت نفسه حجة الشىء ذاته ، إذ أن دعامة الثقة بشىء إنما تقوم فى قدرته على تحدى خصومه المبارزة ، فإن لم يكن له معارض ، أو كان له معارض سقطت حجته فى الميدان ؛ فقد حكم له بقربه من الصواب .

وكما أنه لا يجوز حمل الناس على غير ما يريدون بادعاء العصمة فى أنفسنا وفيما نريدهم عليه ، حتى ولو كان ممنا الاجماع ؛ ما دام من الممكن أن يكونوا هم على حق ، وما دمنا لم نفسح المجال لنتبين خطأ الأمر من صوابه فى مناقشات حرة ؛ كذلك ليس لنا أن نحملهم عليه بحجة المنفعة ، أو بدعوى الفائدة للمجتمع أو أية ذريعة أخرى ، فما دمنا لم نسمع رأى الفريق المعارض ، ولو كان نفراً قليلا لا نجزم بأن المنفعة فى جانبه أو فى جانبنا ، فالمشكلة باقية لم تحل ، ولم نزل ندعى العصمة فى أنفسنا — ونرى معارضينا بالخطأ — فى تعرف النفع كما ادعيناها من قبل فى الاهتداء إلى الحق .

فنحن حين نقيد حرية الرأى فى الأفراد إنما نحملهم على اتباع رأينا ، ونسوقهم إليه باسم الإجماع على الحق حيناً ، ومنفعة المجتمع حيناً آخر — مما يحمل فى طيه ادعاء العصمة من الفساد فى آرائنا — والعصمة من الصواب فى معارضينا ، وليست الحقيقة — كما قلنا — بحيث نتعرفها بهذه السهولة ، بل لابد للوصول إلى بعض اليقين من حرية مناقشة واسعة النطاق ، حتى فى أخص مسائل الحياة كالدين وحسب البشرية ما ترتب على التعصب الدينى والطائفى والسكنى من اضطهادات ومظالم وشهداء — يتوسع « مل » فى الاستشهاد بها — ليس ينهض عذراً لها ما يقال من ضرورة اجتياز الحق لهذه المحن ، فإن فى إتيان هذه الفظائع قضاء على التجديد والإحسان والعمل على ترقية الجنس البشرى. وفضلا عن أن الاضطهاد يزهق الحق ويخفيه ويعوق انتشاره ، وينزل بدعاته العذاب ، فإنه يقتل الشجاعة الأدبية ويصادر حرية الفكر ، وجرأة الحق ، ويعوق نمو السلطات وانتشار ثمرات الإبداع فى حينها ، ويؤدى إلى تستر المفكرين وذلتهم وسعيهم لتملق عواطف المجتمع بدلا من البحث عن الحقيقة . ومع هذا فالحق لابد يوماً أن يظهر ويبهرنا ضوءه فنضطر متأخرين إلى الإيمان به — بعد إذ أسأنا إلى أصحابه وعذبناهم — وبعد أن لم نسلم من الثورات الفكرية التى يولدها الضغط والتقييد .

وبعد أن فرغ « مل » من إثبات شطر حجته الأول : عدم ادعاء العصمة فى حمل الفرد على حق أو منفعة ، انتقل إلى الشطر الثانى منها — وهو خطر إخماد رأى الفرد ولو كان خطأ — إذ أن منع المناقشة منعاً باتاً أمر ضار ومستحيل — خصوصاً فى المباحث المتعارضة الآراء — ولضرورة دراسة حجة الخصم وتفهيمه علة خطئه ليتثقف عقله ، بعد أن نسمعها منه بنزاهة وصدق رغبة ، بلا تحيز ولا محاباة ، أوتفريق بين عام وخاص . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، فإن تقييد المناقشة يتعدى أثره الجمود العقلى إلى جمود المعانى الأخلاقية فى العقائد موضوع المناقشة — بما يجعل منها ألفاظاً منسية جوفاء — وإلى جمود العقائد والأقطار ذاتها بعد أن تصبح تقليداً محافظاً مستقراً ، اطمأن عليه حماته ونام عنه خصومه ، وهذا التحجر فى العقائد — دينية أو غير دينية — يجعل منها رسوماً وطقوساً أولى منها معانى جيلة وعقائد . فلابد من الخلاف والمناقشة حتى نصل إلى الحقائق اليقينية التى تعين على رقى النوع البشرى ، ولابد من تهيئة الوسائل التى تثير هذا النقاش المستمر حول الحقائق حتى لا تموت باستقرارها ، ولابد أخيراً أن نكمل جزء اليقين الذى فى آرائنا بيقين آراء معارضينا . وأن نشفع نزعة المحافظة دائماً بنزعة مساوقة إلى التقدم والإصلاح فى سياستنا .

كمال دسوقى

رأى مفتى حضرموت

فيما دار بين عزام باشا والسيد محمد بهجت الأثرى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

ولو لم يكن إلا هـذا وحده لـكفى مبرراً لقول عزام ورد كلام الأثرى وهو نص جلى فيما قدمناه فلله الحمد على الهداية ، ولم يذكر ابن القيم احتجاج عمر بآيات الحشر لأنها لا تصلح للغنيمة وإنما جرى ابن الخطاب فى السواد على النص ما اشتهر من قوله متمتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فإنه ظاهر المصادمة للنص وقد حاولوا بجواب عنه فلم يأتوا إلا بالتافه المردود وذكر ابن خلـكان فى ترجمة يحيى بن أكثم أن المأمون يسوقه مساق المتفق عليه يقول ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما أقره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر القصة التى يـكفينا منها موضع الشـــاهد وهو هذا وأصله فى صحيح مسلم عن جابر قال كنا نستمتع بالقبضة من الدقيق والتمر الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وصدراً من خلافة عمر حتى نهانا عنهما ، عمر وبعيد جداً أن يقول ابن الخطاب عنها ذلك القول الغليظ ، وهو ذاكر النص بدون أدنى إشارة إليه وإنما جرى منه على انقياد من ترجيح المصلحة ، ولابن الخطاب فى قضية المتعة مزمية إذ قد ظهرت النصوص بعد ذلك متظاهرة على تحريمها موافقة لـما ذهب إليه بإصالة رأيه وبُعد نظره ، ومنها حديث سبرة الجهنى عند مسلم وأبى داود وأحمد ، ومما يتأكد به أن قول عمر فى متعة النساء كافة رأياً ارتآه جمعه إياها ومتعة الحج فى سياقه واحدة ، وقد أخرج مسلم عن ابن أبى مليكة عن عروة ابن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر الناس بالعمرة فى هؤلاء العشرة وليس فيها عمرة فقال أولا تسأل أمك عن ذلك ، قال عروة فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك فقال الرجل من هاهنا هلكتم ما أرى الله عز وجل إلا سيعذبكم إنى أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتخبرونى بأبى بكر وعمر والحديث أطول من هذا والرجل هو ابن عباس

وله شواهد كثيرة وحسبنا منها أن قول عمر فى متعة الحج كان برأيه المخالف للنص والمصلحة التى رآها فى ذلك هى كرهه لأن يدخل الناس فى الحج ومذاكيرهم تقطر لأن ازفهينه لا تليف باخشيشان النسك وقول ابن عباس لعروة أولا تسأل أمك النسب بمتعة النساء وله قصـة طويلة مذكورة فى السير ، ولـكن لعل الحديث اختصر فانتقل النظر ولا ينكر أحد أن عمر رضى الله عنه كان وقافاً عند كتاب الله ولـكن إذا استنار له الدليل وإلا فإنه يذهب عند ظهور المصلحة إلى التأويل ، ولعل منه قياس الغنيمة على الفىء إن صح احتجاجه بآيات الحشر الذى ذكره غير واحد سوى من سماهم الأستاذ الأثرى .

وحسبك بما جرى منه يوم الحديبية فإنه لم يقبل كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو وجد أعواناً لرده وخرج مغضباً ثم لم تنكسر سورة غضبه إلا عند انقطاع الحيلة وتعقب مراجعات له من أبى بكر طويلة ، وعذره فى ذلك شدة غيرته على الدين ، ومنها إشفاقه عليه وقوة شكيمته وصلابة عوده فى الحق وصحة إخلاصه لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجرى على سجيته العربية من خشونة اللفظ مع نسيان التحفظ تحت تلك التأثيرات ولو قالها غيره لطعنوا فيه ، أما هو فعلى حد قوله :

ويقبح من سواك الفعل عندى ... فتفعله فيحسن منك ذاكا

وهل فوق هـذا دليل على أن ابن الخطاب يسير مع ما يراه من المصلحة للإسـلام وإن حادت عن النص الخاص والعام ، ولقد فعل يوم مات ابن أبى من اعتراضه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجذبه بثوبه ما هو معلوم وكان له فى ذلك منقبه إذ نزل الذكر الحـكيم بموافقته بعد ، وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم يوم اشتد وجعه ائتونى أكتب لـكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فمنع عمر فليس فى ذلك إيثار للمصلحة التى رآها على النص الصريح بلى وألف بلى فرحى للأستاذ عزام مرحى إذ ألهمه الصواب من أوحى إلى عبده ما أوحى ، وأكبر من هذا كله ما جاء فى التمدن الإسلامى ص ٢١٧ ج ١ طبعة ثالثة من ص ١٢٦ ج ٢ من خطط المقريزى من تقرير ابن الخطاب للمكوس فى الإسلام مع مصادمة ذلك للنصوص حتى لقد قال بعض الشافعية أن استحلال المكس كفر ، ونقل العصامى فى تاريخه عن قطب الدين النهروانى أن الألسنة انطلقت بالوقيعة فى

القضاة الأربعة بالقاهرة الذين أفتوا بحل المكس فى جده وقالوا إنهم اعتمدوا هوى الملك حفظاً لمناصبهم .

وما أخطأ صاحب التمدن إلا فى تعيين الصفحة والجزء من الخطط وإلا فقد جاء فى ص ١٦٦ منها وأصل ذلك فى الإسلام أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجاراً من المسلمين يأتون أرض الجند فيأخذون منهم العشر فكتب إلى أبى موسى الأشعرى وهو على البصرة أن خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتى درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار العهد من كل عشرين درهماً درهماً ، ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهماً ، ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه البخس .

ومن تلك الأمثال ما رواه طاوس عن ابن عباس قال كان طلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر واحدة فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم رواه أحمد ومسلم وفى لفظ آخر رواه مسلم فلما كان فى عهد عمر تتابع الناس فى الطلاق فأجازه عليهم وفى آخر رواه مسلم أيضاً أن عمر قال أجيزوهن عليهم رواه أبو داود وكنت أستنكر القول بأن الثلاث واحدة لما حصل من تشنيع العلماء على ابن القيم وشيخه فى اختيار ذلك ولأن الحنابلة على اعترافهم بفضل هذين الشيخين لم يوافقوهما على ذلك ، ولأن الأئمة الأربعة على خلافه حتى رأيت العلامة الشوكانى يبالغ فى تأييده وبعد من الأجلاء من يقول به والإمام الرازى يقول فى تفسير آية الطلاق من البقرة أنه الأقيس وبلغنى أن من لا يشك فى دينه من الحضارمة يقره فرجعت عما كنت عليه فيه ، ومعاذ الله أن نقول أن ابن الخطاب أو من دونه من العلماء القائلين بالاستصلاح يقصدون مراغمة النصوص الشرعية إنا إذاً لظالمون ، ولكنهم إذا ظهرت المصلحة المحققة رجحوها متحيزين إلى النصوص العامة فى ذلك كقوله جل ذكره : ما جعل عليكم فى الدين من حرج وقوله : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، وأمثالها مما لا يحصى وفى الصحيح يسرا ولا تعسرا ، ومن أساطين الشريعة ما أخرجه ابن ماجه مرفوعاً لا ضرر ولا ضرار ، ولقد أراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل ببدر منزلا لم يره الأنصار موافقاً للقتال فخالفوه فرجع إلى رأيهم وقال للأنصار عام قدومه المدينة ما يضركم أن لا تؤبروا فخرج نخل المدينة شيصاً فقال لهم أنتم أعرف بدنياكم واتفق أصحاب السير على أنه عليه السلام عزم على أن يصالح رئيسى غطفان عيينة بن حصن والحارث بن عوف على أن ينصرفا بقومهما فى حادثة الأحزاب ولهما ثلث ثمار المدينة ثم شاور السعدين بعد تمام المراوضة فقالا إن يكن الله أمرك فسمعاً وطاعة ، وإن كنت إنما تريد أن تصنع لنا بذلك فلا حاجة لنا به ، فرجع إلى قولهما ووجه الدلالة فيه من جهتين أن النبى أراد التصرف فى أموال الأنصار بدون استرضائهم كلهم للمصلحة وأن السعدين خالفاه للمصلحة أيضاً فرجع إلى رأيهما وأكبر من ذلك ما أخرجه مسلم عن عمران بن حصين أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ رجلا من غفار بجريرة حلفائه من ثقيف وما كان إلا من أجل المصلحة وإلا فالبارى جل شأنه يقول فى غير موضع من التنزيل : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، ويقول عن العبد الصالح (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون) وقالت الصديقة عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد أو ما يقرب منه ، وقال ابن عبد السلام لله أحكام تحدث عند وجود أسبابها ، وقال بعض الأئمة يحدث للناس من الأحكام بقدر ما أحدثوا من الفجور ، وقال بعض متأخرى الشافعية الشرع مبنى على درء المفاسد وجلب المصالح ، بل لو كان حكم شرعى يخالف العادة ترك للمادة سداً للذريعة المؤدية إلى الشقاق والعداوة التى لا ينقطع بابها إذا فتح ولا ينسد .

ولئن كنت ناقشته فى بعض كتبى الفقهية لتقيدى فى الفتوى بمنقول المذهب فلا بأس أن استدل به هنا للاستصلاح لفرق ما بين الجهتين لا سيما وقد رجحه علامة اليمن الحبر البدل شيخ شيخنا (١) السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل فيما ذهب إليه من تقوية كلام العلامة ابن زياد فى نفس الموضوع وقال كثير

(١) أنا أخذت عن الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر وقد مات سنة ١٣١٤ هـ وأنا على تمام الرابعة عشر من عمرى وقد أخذ عن السيد عبد الرحمن بن سليمان المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ وعمر الأستاذ الأبر إذ ذاك أربعة عشر عاماً وقد صرح بأخذه عنه فى مواضع من كتابه عقود اللآل

من العلماء كالحنفية بالاستحسان ، وفسر بدليل ينقدح فى نفس المجتهد تقصر عنه عبارته وفسر أيضاً بعدول عن الدليل إلى العادة للمصلحة ومن المقرر بين الأصوليين حتى فى المتون جواز التخصيص بالعقل وليس الاستصلاح عند مصادمة الدليل الامن ذلك القبيل وعلى خاطرى أن بعض الصحابة أحرم بصلاة المغرب فانفلتت راحلته فذهب وراءها حتى ردها وعقلها فعاد إلى مكانه وأتم صلاته فقيل له فقال أأدع ناقتى تضيع وأنا شيخ ضعيف ؟ ولقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا غزوة فرأيت من تيسيره ما يتسع لأكثر من عملى هذا أو مايقرب من هذا أوما هذا نخيله وهو من الثابت وقد ذكرته فى بعض كتبى ولكنى لا أدرى أين مكانه الآن فترى هذا الصحابى رضوان الله عليه تجاوز النصوص الخاصة فى منع الأعمال فى الصلاة إلى الدليل العام من التيسير ولكل ما فعله مبرر من الفقه عندنا إلا عوده إلى مكانه الأول إن ثبت ، وإلا فقد قال فى التحفة من أخذ له مال فى الصلاة لا يجوز له أن يبقى فيها ويتبعه ويصليها صلاة شدة الخوف على الأوجه بل يقطعها ويتبعه إن شاء .

ومقابل الأوجه الجواز وهو مما يسوغ العمل به فى حق النفس والشريعة كما سبق مبنية على حفظ المصالح ودرء المفاسد فايس الأستاذ عزام بالأوحد فى هذه الطريقة ولكنها المهيع الواضح والسبيل المظيم وقد أطلت القول فى ذلك لبعض المناسبات التاريخية فى كتابى بضايع التابوت فى نتف من تاريخ حضرموت المنوى تقديمه للطبع بهمة الشاب الفاضل الأديب عبد الله. باالخير ونسيت وما انسانى إلا الشيطان أن أذكر فيه ما يصلح لأن يكون أكبر شاهد للاستصلاح وهو قوله جل ثناؤه فى سورة الأحزاب (ما كان محمد أبا أحد من رجا لكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما) إذ لولم يضمن دينه حماية العدل والنظام إلى يوم البعث والقيام بقبوله للمصالح لما انقطعت النبوة ولبقيت الحاجة شـــديدة إليها لكنها انتهت فلم يبق للرسالة معنى بعد انقضائها لأن هذا الدين المتين ملائم لكل زمان ومكان وإن اختلفت الأحوال واضطربت الأمور ، وأرجحت الفتن ، وتقلبت الظروف ، وتباينت المؤثرات فلا حاجة مع لطف مرونته واتساع صدره وغزارة مواده وفضيلة قابليته إلى قانون سواه يتجدد لحفظ النظام ونفع الأنام مع مسايرة الأيام ومنه تعرف بديع مناسبة الفاصلة لأن العلم واسع لن يضيق بأية حادثة تعرض له فى مستقبل الزمان وإن انقطع سلاها واطلخم دجاها ولذا كان سهم بن الخطاب هو الصايب وفكره هو الثاقب وحزه يطبق المفاصل وكثيراً مايصف البارى نفسه فى الفواصل بأنه واسع عليم وواسع حكيم أفتضيق تلك السعة التى بالغ فيها التنزيل عن مصلحة كلية إزاء دليل جزئى محتمل لنفوذ التخصيص إليه بالمنفصل من كل ناحية لا والله فإن هذا ما لا يكون ولئن فاتنى هذا الدليل فى البضايع فلم يكن لدى بضائع إذ كم عالجت به من مريض وتعرضت له فى النثر والقريض وكررته بالتصريح والتعريض حتى لقد قلت من القصيدة النبوية التى أنشأتها فى سنة ١٣٦٠ هـ على نهج البردة الشريفة .

وما بغير الذى تقضى شريعته	للناس منجى من الأرزاء والغمم
إذ لا يوازيه دين فى عدالته	ولم يكن مع إصلاح بمصطدم
أما شريعة عيسى فالنجاة بها	مع التمدن شىء غير ملتئم

والله جل شأنه يقول قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، ويقول ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . وهل يمكن مع تقدم الطب بهذه الأيام أن يتأخر الطب الذى بعث به عليه السلام أو أن يعجز عن مكافحة بعض الآلام كلا أنه لينقطع دون هذا الكلام لكن الجمود حجاب وداعى التقليد الأعمى لايجاب وإنما يستحق الفهم كما فى آية سليمان الإعجاب وبعض هذا كان للالزام بما قاله الشيخ عزام ولئن لم نطلع على رسالته بحذافيرها فقد أنبأتنا تلك الجمل بأخابيرها والله أعلم . قاله وأملاه خادم العلم ابن عبيد الله . فى ٥ القعدة سنة ١٣٦٦

دمعة على محمد إسعاف النشاشيبى :

كل أرض ضمتك فهى وساد

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

يستوى الموتُ فى المكان النائى ... ومكان الأجداد والآباء
يا غريب الممات ما نحنُ إلا ... غرباء فى منزل الغرباء
كلُّ أرض ضمتكَ فهى وسادٌ ... يستوى عندها مصيرُ الفناء
من دعته منيةٌ لبلاد ... مات فيها إجابةً للنداء
قدرٌ حائن على المرء لم ينـ ... أ قريبٌ عنه ولم ينجُ نائى
من تفته المنونُ فى بأساء ... لم تفته المنونُ فى النَّعماء
أخطأتك الأقدارُ والبأس يغلى ... فى فلسطين والحمى فى دماء
وأصابتك فى مكانٍ أمين ... رُبَّ أمن يجذُّ حبل الرَّجاء
لم تمت ميتة الجبان ولكن ... متَّ فى العلم ميتة الشهداء
كُنت فى ساحة العروبة سيفاً ... من نفاذ ومُنصلاً من مضاء
لم تُجاهد بالسيف فيها ولكن ... كُنت فيها مُجاهد الآراء
رُبَّ فكر أمضى من السيف فى الذَّو ... د ورأيٍ أحمى من الهيجاء
حاجة الشرق للسيوف المواضى ... مثلُ حاجاته إلى العلماء ...

لغة الضاد رُوِّعت فيك لما ... فقدت فيك واحد الأُدباء
كنت صدر الرُّواة فى مجلس القو ... م وشيخ الثقات فى الأنباء
كنت جيلا من الرواية ولَّى ... بعد جيل الرُّواة والقرَّاء
وزماناً فى الحفظ غير خلاء ... ومكاناً فى الفضل غير خواء
حافظاً للتراث فى غير زهو ... كاختيال الغبىّ أو خُيلاء
كنت تروى كقارئ من كتاب ... عصبىّ البيان فخم الأداء
تنشر المكرمات من عهد عدنا ... ن وتحيى مكارم الصحراء
وتميد الحديث عن كل ماض ... حافل بالفخار والعلياء
كُنت تتلوهُ فى اعتزاز المباهى ... وافتخار البنين بالآباء
كانت العربُ كلها لك قوماً ... تنتمى عندها أعزَّ انتماء
لم تُكاثر إلا بهم أو تفاخر ... لم تكاثر فى مجلس بثراء
شهد اللهُ ما سمعتك يوماً ... مسرفاً فى ظواهر الأشياء
شهد اللهُ ما رأيتك تُمنى ... بخداع المنى وزُور الثناء
تمس الناسُ فيم يشمخ منهم ... شامخ بالمظاهر الجوفاء ؟
كيف يُزهى بالمال والجاه من لا ... يملك المالُ عنه ردَّ القضاء
كيف يُزهى بالمال والجاه من لا ... يتوقى فى صحة من داء ؟؟

يا دفيناً فى أرض مصر وكانت ... لك فى القدس أرحب الأرجاء
كيف ضنَّ الحمى عليك بشبر ... من تراب وحفنة من هباء ؟
مصر ضمت ثراك وهى وعاء ... لكنوز مذخورة للبقاء ..
قدرٌ ساقك الغداة إلينا ... لتلبى بمصر حُكم السماء
كلُّ شبر من العروبةِ مأوى ... لوداد ومَلجأ لإخاء ...

لا أقولُ انتهت حياتك فينا ... أنت باق بالذكر فى الأحياء
أنت أعلى من الرثاء .. ولكن ... هذهِ أدمعى . وهن رثائى

محمد عبد الغنى حسن

ذكرى الرسول الكريم

للأستاذ مختار الوكيل

سيد الخلق وزيْن الأنبياء
جئت فى ساحك أستجدى الضياء
فأنلنى غوثك المأمول يا ... موئل العانى وكهف الضعفاء
واعف عن ضعفى فما شعرى سوى ... قطرة من فيض رب الفصحاء
الذى أدبه الله ، فلم ... يعرف الهزل ، ولم يدر الهُراء
والذى علّمه البارى ، فما ... خفيت عنه تهاويل القضاء
والذى نزهه المولى ، فلم ... يقل الهُجر ، ولم يرو الهجاء

جئتك اليوم مُنيباً ، لا أرى ... غير باب الطهر باباً للنجاء
لائذاً بالستر أسمى مُهطماً ... لشفيع صفحه كلُّ الرجاء
كانت الدنيا ظلاماً دامساً ... والديانات بها محض هباء
فضعيفٌ من قوىّ يشتكى ... وظلوم ليس يُعنى البؤساء

وأخو شرك على الأرض طغى ... ولو اسطاع تمادى فى السماء
وأخو كاس على الخمر ارتمى ... يرشف الراح ويحسو ما يشاء
وبغــاة وعتــاة أمعنوا ... فى المعاصى وتمادوا فى الدهاء
عُكَّفٌ حول الذى قد نحتوا ... من شخوص وتماثيل خواء
عنـد ما أقبلت موفور السنى ... حصحص الحق ونور العدل جاء
وأقت الحـكم شورى لم يكن ... حكم مُستعل ولا حكم افتراء
وسننت العدل قسطاساً فما ... عرف البغى ضعيف فى القضاء
مُذ دنا ركبك من «أم القرى» ... زهق البـاطل والحق أضاء
يا رسول الله يا خـير الورى ... نفحة منك بها يدنو الشفاء
عالم اليوم طغى فيـــه الألى ... سفَّهوا الدين وعابوا الأتقياء
زعمـــوا قنبـــلة ذرية ... سوف تفنى الكون ، فالكون خلاء
ومضـوا فى غيهم إن خرجوا ... من شقاء سربلوا ثوب شقاء
ما العـداوات التى نشهدها ... غـير إرهاصات حرب ودماء
ما الدعايات التى نسـمعها ... غير سم منه قد فاض الإناء
كفـروا بالله ، ياويحهمو ... واسـتهانوا بكلام الأنبيـاء
ومشوا فى موكب من لهب ... سقطوا فيـــه ضحايا الخيلاء

قومك اليوم ، رسول الله فى ... محنة نـكراء يشـكون العناء
شتت الباغون إجمـــاعهم ... وأحالوهم طيـوفاً وذماء
مسلمو اليوم على أرضهم ... أصبحوا أحـلاف ذل غرباء
سادة للـكون كانوا ، فغدوا ... غرضاً للطامعين السفهاء
يطلبون القوت ، لا تحفزهم ... لطلاب المجد أحـلام وضاء
قنعوا بالرسـف فى القيد فلم ... يسألوا غـير كفاف الأجراء
كانت الدنيا لهم مذ حملوا ... سيفهم يبغون للدين العلاء
كانت الدنيـا لهم فانقلبوا ... همهم كسرة خـبز وكساء
يدَّعون الدين والدين براء ... من نفوس خاويات كالهواء
ويريدون جـلاء ناجزاً ... أين من مستضعف نيل الجلاء
جوهر الدين نأوا عن هديه ... وأرادم زخرفوا منـه الطلاء
ما ينال الحـق بالعجز وما ... تهزم القطمان ذئب الصحراء
إنمـا الحق ، له السيف يد ... وأرى الغفلة قبر البلهاء
ونبى الله بالسيف غـــزا ... وعـــدو الله بالخسران باء
فأقيموا الدين بالسيف ، ولا ... تطلبوا المجـد بمبذول الدعاء
أنقذوا أرض فلسطين ، ولا ... ترهبوا الموت ففى الموت البقاء
واطلبوا المجد بسيف لهذم ... يدع العادين صرعى فى العراء
وأقيلوا الدين من عثرته ... بجهاد يذهل الأرض الفضاء
نادت الدنيا بكم أن أقدموا ... فأصيخوا إن عقلتم للنداء
وأقيموا الملك بالدين كما ... كان فى عصر نبى الأنبيـاء
واذكروا سيرته واقتبسوا ... من سناء يذهب الداء العياء
إن أخذتم قبساً من هديه ... حزتم النصر ، وإلا فالعفاء
يا أبا الزهراء يا رمز الإباء ... نحن للاسلام والعرب فداء
نفحة منك بها نحمى الحمى ... ونقى الأرض مغبات العداء

مختار الوكيل

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية في البلقان :

ألقى الأستاذ ساطع الحصرى يوم السبت المحاضرة الثانية من سلسلة محاضراته التى يلقيها فى الجمعية الجغرافية الملكية . وكان موضوع هذه المحاضرة «نشوء الفكرة القومية فى النمسا والبلقان — تأثير اللغة والتاريخ والكنيسة فيها » .

وقد عنى الأستاذ فى هذه المحاضرة بإبراز تأثير اللغة فى بعث القوميات تأييداً لما أبداه فى المحاضرة السابقة من ترجيح كفة النظرية الألمانية القائلة بأن القومية كائن حى روحه اللغة ، ضد النظرية الفرنسية التى ترى أنها إنما تقوم على مشيئة الأمة ؛ ولذلك استعرض دول البلقان مبينا ذلك فى كل واحدة منها ، فاليونان كانت موحدة اللغة والثقافة بفضل الكنيسة التى تركها العثمانيون حرة فى شعائرها ، وقد حفظت الكنيسة اللغة اليونانية وثقافتها فى بلاد اليونان بل نشرتها فيما جاورها من البلاد ، ولهذه الوحدة اللغوية الثقافية التى يضاف إليها التاريخ القومى وجهود الكنيسة كانت بلاد اليونان مهيأة لنشوء الفكرة القومية فيها ومستعدة للثورة فى سبيل استقلالها وقوميتها ، فلم تكن الثورة تنتظر غير الإشارة . وفى بلغاريا كان الأمر على عكس ذلك ، لأن الكنيسة اليونانية كانت هى المتسلطة على البلاد البلغارية بسلطانها الدينى الذى يستتبع فرض اللغة اليونانية فى الصلاة وسائر الشعائر الدينية وفى كل ما يمت إلى الثقافة ، ولم تكن اللغة البلغارية ذات أدب ولا ثقافة ، بل لم يكن لها نحو ولا صرف ، وفى أوائل القرن التاسع عشر بدأت الجهود تتجه إلى ترقية اللغة البلغارية واستعمالها فى الدين والثقافة ، أى الاستغناء بها عن اليونانية . وجاهد البلغاريون فى هذا السبيل رغم ما لاقوه من مقاومات وعقبات ، حتى وصلوا إلى ما أرادوا من إحياء لغتهم ، ثم التفتوا إلى كيانهم السياسى فعملوا على استقلالهم حتى تحقق .

وكذلك فعلت رومانيا فى كفاحها اللغوى مع اليونان والسياسى مع الدولة العثمانية ، وإن كانت الحال فيها تختلف عن بلغاريا من عدة وجوه ، منها التاريخ ، إذ استثمر الرومان مجد أبطالهم القديم .

أما يوغسلافيا فكانت قسمين : قسم يتبع تركيا وقسم يتبع النمسا ، وقد قامت فكرة القومية فى القسمين على توحيد اللغة . ولما ساعدت الظروف القسم الأول على الاستقلال قبل الثانى ظل يتجه نحو الاتحاد مع القسم الآخر حتى تم ذلك . وقامت فى تلك الأثناء دعوات مختلفة إلى اللغة التى يرى كل فريق اتخاذها لغة قومية . ومن ظريف ماحدث أن أحد الشعراء صنع مخطوطات طبقاً للغة التى يدعو إليها وادعى أنها ترجع إلى القرن الثالث عشر ، واحتال حتى أظهر أنها كانت محفوظة فى سراديب إحدى الكنائس ، وجعل ينشد الشعر ويكتب الأقاصيص على أوضاع لغة هذه المخطوطات ، وتنبه له بعض المعارضين ، ولكن بعد مضى الزمن سار الجميع عليها .

وهكذا كانت اللغة هى أساس القوميات فى دول البلقان ، وكان النزاع الكنسى يدور حولها ، فلم يكن ثمة اختلاف فى العقائد ، ولكن كانت اللغة هى الغاية . وبين الأستاذ ذلك أيضاً بوصف حالة البلاد التى تقع بين دول البلقان وهى بلاد مقدونيا ، فقد كانت مختلفة فى اللغات على حسب موقع كل منها من الأمة التى تجاورها — وصف الأستاذ حالة التنازع بين هذه البلاد فى مراحله المختلفة ، بسبب اختلاف اللغة ، ولم ينته هذا التنازع حتى تقسمت الدول المجاورة تلك البلاد ، وأخذت كل دولة منها مايماثلها فى اللغة .

ثم قال الأستاذ : أيد الفرنسيون نظريتهم بسويسرا ، إذ قالوا إن الأمة السويسرية شاءت أن تكون أمة فكانت ، على الرغم من تعدد لغاتها ، والواقع أن سويسرا بلاد كثيفة السكان بخلاف مقدونية وهى تتبع فى نظام حكمها أن يقوم كل إقليم بنفسه فى الإدارة ، والقضاء وغيرهما ، والحكومة المركزية إنما تنظم العلاقات الخارجية . وقد ساعد موقع البلاد الجغرافى على المحافظة على كيانها وحيادها ، لأنها محاطة بدول كبيرة مصلحتها فى أن تبقى سويسرا على الحياد ، وهنا شبه الأستاذ اللغة فى القومية بجاذبية الأرض ، فكما أن المصباح المائى لا يلتصق بالأرض

والدخان يصعد إلى السماء ولا يهبط إلى أسفل ، دون أن ينقض ذلك جاذبية الأرض — كذلك القومية فى سويسرا ، تقتضيها عوامل أخرى غير اللغة ، ولكن هذا لايدفع أن اللغة هى أساس القومية وروحها .

هذا هو الإنسان :

لا يستطيع متتبع الآداب أن يغفل ذلك المقال الذى كتبه بالأساس الأستاذ عباس محمود العقاد فى مقتل غاندى ، فهو مقال لا يظفر الناس بكثير من أمثاله ، وخاصة فى هذه الأيام التى أصبحت الأقلام فيها تجرى على الصفحات لمجرد ملئها بأى كلام .

قتل غاندى فى هذا الأسبوع ، فكتب كاتبون ونظم شعراء . وقرأت لهؤلاء وهؤلاء ، فلم أقع على مثل ما كتب العقاد .

قال فى تصوير هذا الحادث : « لم يحدث قط أن ترتفع يد بالشر إلى رجل لا يسفه الأحلام ولا يبشر بغير الإسلام ، رجل فى الثامنة والسبعين يكف الشر فى النفوس بوقار سنه وضعف شيخوخته وطيب سكينته واستسلامه رجل يدين بما يدين به قاتله المتعصب لعقيدته . وقصارى ما تنتهى إليه تلك العقيدة — عند ذلك القاتل التعس — أن قتل البقرة حرام ، وأن قتل القديس العظيم مباح » .

وقال : « قيل منذ أيام أن قذيفة ألقيت على غاندى فنجا منها . فوقع فى الأنفس أن نجاته من تلك القذيفة من أحداث الطبيعة لا غرابة فيه ... كأن المادة نفسها تهاب أن تمضى بالأذى إلى هيكل ذلك الروح ... كأن القذيفة ترتد — ولا تستطيع إلا أن ترتد وحدها — عن القداسة التى أخضعتها ، ولم تخضع لها قط فى تجارب الحياة . فلما قيل إنه قتل بيد إنسان ، قد والله سألت : كيف تحركت عضلة فى جسد بشرى بضربة قاتلة لذلك الشهيد؟ قد والله سألت عن اليد التى لا تعقل ، لأنها كانت خليقة أن تعجز عن الحراك إذا سيمت مثل هذا الحراك الذى يشذ عن كل قانون ... ولم أسأل كيف سولت نفس ولا كيف هجس ضمير ، لأن من الهول الهائل أن يدخل مثل هذا الجرم فى حساب نفس أو ضمير » .

وقد بلغ الغاية فى تحقير القاتل مع الرثاء له بقوله : « ومن يقتل شرف الإنسانية كلها إلا مخلوق يخجل من إنسانيته كل إنسان ، بل كل حى من الأحياء ، وكل ضاربة من ناهشات الأبدان ، وكل ساعية من نافثات السموم . ويسألون : أى جزاء يجزى به وراء الإعدام فى جانب الوصمة الأبدية يحملها المسكين وحده فى تاريخ البشرية بأسرها . فيذكر وحده إذا ذكر الخزى الذى لا خزى مثله فى طوايا التاريخ . هذا هو الإنسان فى بؤرته السفلى . وذاك هو الإنسان فى ذروته العليا » .

ولقد دفع إلى صاحبى بهذا المقال فقرأته ، ودفعته إلى صاحبنا الثالث ليقرأه ، وقد اعتدنا أن نتناول شيوخنا بألسنة حداد فما نفلت أحداً منهم ، ولكن حينما قرأنا مقال « هذا هو الإنسان » نظر بعضنا إلى بعض وسكتنا ، لا لأنا جاحدون ، بل لأننا متفاهمون

فى تأبين هدى شعراوى :

شهدت يوم الجمعة احتفال الاتحاد النسائى بتأبين رئيسته السابقة السيدة هدى شعراوى ، وقد اشترك فى هذا التأبين أربعة من الأدباء ، اثنان من الأعلام : الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور محمد حسين هيكل باشا ، ألقى الأول قصيدة ، وتحدث الثانى عن أثر الفقيدة فى نهضة المرأة ؛ والآخران هما الأستاذان محمد الأسمر ومحمود أبو الوفا ، وقد ألقى كل منهما قصيدة . أما قصيدة أبو الوفا فقد كانت أدق فى تصوير شخصية الفقيدة ، وأما الأسمر فقد ساعد تعبيره الخطابى وجرس إلقائه على اجتذاب أسماع الجمهور واجتلاب استحسانه .

المرأة المصرية والعربية :

وأريد أن أتجاوز الرجال سريعاً إلى النساء ، فإن لى معهن شأناً . تكلم فى هذا الاحتفال عشر نساء ، ثلاث من العراق ولبنان وفلسطين ، وست مصريات ، وواحدة أوربية . وأريد أن أقارن بين المصريات وبين العربيات الأخريات ، وأقارن بين العربيات جميعاً وبين الأوربية .

مثلت العراق السيدة منيبة الكيلانى ، ومثلت لبنان وسوريا السيدة ابتهاج قدورة ، وألقت الآنسة تحية محمد كلمة فلسطين ، ثم تعاقب بعدهن الست المصريات ، فكان الفرق واضحاً كل الوضوح بين الفريقين ، فقد امتاز الأوائل لا بفصاحة النطق

وسلامته ونصاعه الأسلوب فحسب ، بل كذلك بالبراعة فى تصوير شخصية هدى شعراوى باعتبارها زعيمة نساء العرب ، وفى التعبير عن شعورهن إزاء فقدها ، وقد شعرنا ونحن نستمع إلى كل منهن أننا أمام إنسان حى يؤدى إلينا ما يريد من فكره وإحساسه بأسلوب قويم ولسان مبين .

وقد تعمدت أن أصف أولئك الثلاث العربيات بتلك الصفات لأقول صراحة إن المصريات تجردن منها ، فالنطق عامى ، واللحن كثير ، والإعراب لا رقيب عليه ، ولا شيء وراء الكلام العادى الجامد ، بكت إحداهن — وهى سيدة كريمة لها نشاط محمود فى الخدمة الاجتماعية — وهى تلقى كلمتها ، فعوضت بلاغة بكائها من قصور كلامها .. ونابت إحداهن عن خريجات الجامعة ، فلم تكن خيراً من الباقيات .

ولقد جنى العربيات على المصريات اللائى لا أراهن جديرات بأن يوصفن بأنهن عربيات ، لأن الأوالى لولم يشتركن فى هذا التأبين لسمعنا من نسائنا وغفرنا لهن قائلين : إنهن جنس ناعم واللغة العربية خشنة .. ألسن يتحدثن بالفرنسية الرقيقة .. ؟ ولكن العربيات وصفت ألسنتهن رقة اللغة العربية وسحر بيانها وبدت المصرية بجانبهن فى صورة المتخلفة عن ركب النهضة العربية ولن تكون سائرة فى هذا الركب حتى تجيد لغتها وتعالج بيانها .

ومن العجيب أن المرأة المصرية المتعلمة خطت خطوات واسعة فى نواحى الحياة المختلفة ، ولكنها ما تزال على عجمتها لا تكاد تبين وننظر فى ميدان الأدب فلا نرى إلا عدداً لا يبلغ حد الجمع إلا بالتساهل .

فلم لا تتعلم المرأة المصرية اللغة العربية ... ؟ إنها ما دامت لا تقوم لسانها بلغة قومها ستظل شخصيتها ناقصة ، ولن تكمل إلا حين تستحق أن توصف بأنها عربية .

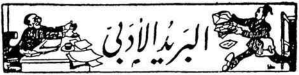
وقد مثلت الاتحاد النسائى الدولى السيدة (مالانير سبليه) وكيلته ، فارتجلت كلمتها ، وتخلصت بالارتجال من قيود القراءة ، وواجهت الجمهور بكل قواها الخطابية . وأنا لم أر بعد امرأة عربية ترتجل بلغة فصيحة ، أما الرجال فنهم من يقرأ وكثيرون يرتجلون ، وقد كان موقف هذه السيدة الأوروبية قوياً بالقدرة على الخطابة بلغتها مرتجلة ، فبدا الفرق كبيراً بينها وبين من تحبر أو يحبر لها ، ثم يتعثر لسانها فى الإلقاء !

صدى من لبنان :

يذكر القراء ما كتبته فى النهج الذى سلكه أخيراً فى الكتابة الأستاذ توفيق الحكيم ، وقد رجع إلينا الصدى من لبنان فى مجلة الأديب (عدد فبراير) قال :

« رد الأستاذ توفيق الحكيم على الذين ينعون عليه ، بأنه ودع الفن يوم ترك برجه العاجى وانحط إلى مستوى الجمهور ، بقوله : يجب على الفنان نفسه أن ينزل السفح إليهم ... يهدينا إلى ذلك فعل المبدع الأعظم لهذا الكون ... لقد أراد وهو فى عليائه أن يبلغ الناس رسالته فلم ينتظر منهم أن يصعدوا إليه فأرسل إليهم رسولا أو نزل هو نفسه فتجسد فى المسيح كما هو القول عند المسيحيين . وبهذا التشبيه البعيد يعتقد الحكيم بأنه أقنع الناس بسر فعلته » .

« العباس »



في كتابة التاريخ :

(إلى الأستاذين عبد الرحمن الرافعي بك وعباس محمود العقاد)

من بضعة أسابيع نشرت مقالا بعنوان « اللغة العربية تصارع » أطريت فيه يداً أسداها للضاد الأساتذة سعد زغلول باشا والدكتور عبد السلام ذهني بك وعبد الحميد عبد الحق ، فقد كان للأول فضل تعميم العربية في معاهد الدرس بدل الإنجليزية ، وكان للثاني يدٌ طولى في إقرار مبدأ المرافعة بالعربية في محاكم الاختلاط ، وانتصر ثالثهم لاستخدام العربية في شركات التجارة وبيوتات المال .

وحسبت حين نشرت ذلك المقال أني لم أزد على أن استقيت من التاريخ بعض وقائعه ونسجت حولها خيوطاً جعلت منه وحدة أدبية تفضل الأستاذ العباس بنعتها « بمقالة نيرة » .

ولكن أديباً — هو الأستاذ عزت النشاوي — عقب على مقالي في جريدة منبر الشرق ، مشككا في فضل سعد زغلول على اللغة العربية ، مستشهداً على ذلك بما أورده الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك في كتابه « مصطفى كامل » ، وهذا نصه :

« واشتد الفقيد (مصطفى كامل) في نقد سعد باشا حين طلبت الجمعية العمومية من الحكومة في مارس سنة ١٩٠٧ جعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية ، وكان وقتئذ باللغة الانجليزية ، فاعترض سعد باشا وألقى خطبة طويلة في هذا الصدد سوغ فيها جعل التعليم باللغة الانجليزية قائلا : إن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو اتباعاً لشهوتها ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة ... وقال : إذا فرضنا أنه يمكننا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيه فعلا ، فإننا نكون أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا في الجمارك والبوستة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة . »

ومن ثم عدت إلى كتاب « سعد زغلول . سيرة وتحية » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد لأستفتيه في هذا الأمر وأقف على ما أورده في هذا الصدد . فلم يخرج ما قاله العقاد عما أوردته في مقالي ، وهو ما أجمع عليه المؤرخون من أن لسعد زغلول فضل تعميم العربية في المعاهد ، وإليكم نص ما جاء في كتاب العقاد :

« ومن أجل الأعمال التي قام بها سعد في وزارة المعارف وجازف من أجلها بمنصبه وبحسن العلاقة بينه وبين الأقوياء عملان : أحدهما كان مغضباً للانجليز ، والآخر كان مغضباً للخديو وأتباعه من الشيوخ الأزهريين ...

« نقل التعليم من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية ، فأغضب الانجليز أشد الغضب واحتاج إلى تذليل عقبات أخرى غير عقبات المقاومة السياسية ، وهي تحضير الكتب وتحضير المدرسين وتهيئة الجو للتدرج من نظام متغلغل متشعب مضت عليه خمس وعشرون سنة إلى نظام طارىء لا يزال في دور التمهيد ، محتاجاً إلى المعدات والمنفذين »

* * *

فنحن إذاً أمام روايتين غير متطابقتين ، يقول بالواحدة الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك ، ويقول بالثانية الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد . وهذه واقعة تاريخية لا يجدي المنطق في إثباتها إن كانت باطلة ، أو تفنيدها إن كانت صائبة . ولذلك أراني مناشداً الأستاذين الكبيرين أن يفيضا — على صفحات الرسالة إذا تسنى ذلك — في تبيان ما عندهما من ملابسات لهذه الحادثة التاريخية لنستطيع أن نخلص برأي أيا كان محوره .

وما دمنا بصدد هذه الواقعة التاريخية ، أذكر ملاحظتين قد تكونا معواناً في فهم النهج الذي يتبع في كتابة التاريخ القومي في مصر .

وأول الملاحظتين أن شيخاً كبيراً في المقام عاشر التاريخ المصري في القرن الأخير « وعاش » معظم وقائعه قال لي — وهو اليوم عضو في مجمع فؤاد الأول للغة العربية — إنه يقسم بأن التاريخ المصري المطبوع حافل بأخطاء لا حصر لها ، وأنه دأب على أن يسمي التاريخ المصري « تاريخاً لوابياً » لأنه دائم الانحراف

عن الحقيقة بسبب عدم تدوينه فى حينه ، وإرجاء مهمة التأريخ إلى ما بعد انقضاء زمان بعيد على الأحداث المرجو تأريخها .

وقد ألححت على هذا الشيخ فى نشر مذكراته إنصافاً للتاريخ وللواقع ، فتأبى متعللا بأنه بلغ من طول العمر وشدة الهزال مرتبة لا تمكنه من الرد على ما يتعرض له من حملات إذا ما رأت مذكراته ضوء النهار فى حياته .

للشيخ الكبير من المقام ومن العلم ومن الثقافة ما يجعلنى أتردد كثيراً قبل أن أحكم ببطلان رأيه . هذه ملاحظة .

أما الملاحظة الثانية ، فلعلها لم تبرح بعد مخيلة القارئين ، لأن الصحف ما فتئت تتناول موضوعها من جوانب شتى .

فقد عرف القاصى والدانى ما حل بمصر فى ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، وكنا نحسب من عامين أو ثلاثة أن تاريخ تلك الواقعة قد سجل فعلا ، ولم يعد هناك مزيد لمستزيد . بيد أنه اتضح أخيراً من محاكمات المتهمين فى قضية الجرائم السياسية أن فى جعب الساسة كثيراً من البيانات المستورة ، وأن الحادث لا يزال حتى الآن غير واضح وضوحاً تاماً .

أولا يحق للمرء أن يسأل : إذا كان هذا الحادث التاريخى الذى حدث من خمسة أعوام أو ستة لا يزال موضعه فى التاريخ بين شد وجذب ، فكيف يكون الحال إذا بعدت الشقة بين الحادث والمؤرخ ، وامتدت المسافة بين الواقعة والمسجلين لها ؟

وبعد ، فلعل الأستاذين الجليلين العقاد والرافعى بك يتفضلان — مشكورين — باطلاع القراء على ما يعرفان عن فضل سعد على اللغة العربية — أو إساءته إليها ، لأن من حق الجيل الجديد أن يعرف حقيقة أمر تضاربت فيه الآراء .

وديع فلسطين

فى أدب المهجر :

أشكر للأستاذ مناور عويس هذه اللفتة الجيدة للتحدث عن أديب المهجر الكبير ميخائيل نعيمه الذى رفع منارة الأدب العربى فى الدنيا الجديدة هو وإخوانه الأدباء من مهاجرى العرب . والحديث عن ميخائيل نعيمه وإخوانه ممتع لأنه يتصل بالشاعرية التى تمردت على القيود الكلاسيكية القديمة وانطلقت حرة فى الفضاء إلا من المعانى السامية واللمحات الدقيقة ومنذ زمن مضى وأنا أتطلع إلى أدباء الشرق لعلهم يتحدثون عن تلك النهضة المهجرية ويشيدون بمفاخر إخوانهم هناك وينشرون فى الجيل الجديد هنا ما كتبه أولئك وما نظموه ، فهناك نثر ، وهناك شعر ينبضان بالحياة المشرقة الضحوك ، ويفيضان بالإبداع الذى يماشى الحياة فى موكبها النشيط لأنهما يتدفقان من ينبوع الواقع ، وينبعثان من الوحى والوجدان ، ففيها فلسفة ، وفيها حب وغزل ، ودعوة للانسانية المثالية الشاملة .

ما أكثر إنتاج نعيمه ، والريحانى ، وجبران ، وإيليا ، وإلياس فرحات ، ونسيب عريضه ، وأمين مشرق ، وغيرهم ، ولكن هذا الإنتاج على كثرته وقوة الإبداع فيه لم يكن له ذلك الصدى المحسوس فى دنيا الشرق إلا قليلا عند من ترسموا خطى المهجريين وتابعوا سيرتهم ، وإذا كان بعض مؤلفات جبران والريحانى ، وقصائد نعيمه وإيليا قد أخذ نصيبه من الذيوع والانتشار فى ربوعنا فليس ذلك بكاف فى التتبع والدراسات الصحيحة ، فهناك غير هؤلاء من الشعراء والكتاب قد ملأوا الدنيا الجديدة بعصارة عقولهم وقلوبهم ، ونشروا عليها أجنحة ضافية من أخيلتهم السمحة ، وليس أدل على ذلك من الصحف الكثيرة التى يصدرها إخواننا المهجريون فى ديار الغربة أمثال مجلة « الشرق » و « العصبة » و « السمير » و « الهدى » وأمثال جريدة « البيان » التى كانت بحق لسان القومية العربية الذرب وقد قرأت من هذه الجريدة أعداداً كثيرة يوم كانت تصل إلى العراق قبيل الحرب ولا أغالى إذا قلت : إنى لم أجد من بين صحفنا العربية هنا ما يشبهها حماسة وعروبة ودفاعاً عن البلاد العربية .

وحتى الأدب الشعبى كان له نصيب كبير من جهود المهجريين فقد كانت جريدة « أبجد هوز » التى يصدرها ناصر شاتيلا أروع مثال لهذا اللون الفكه فقد كان فيها نقد لاذع وفكاهة ممتعة باللسان اللبنانى المحلى ، وأجمل ما فيها تلك المحاكمات التى تعقدها لمحاسبة الأدباء فتخلط الهزل بالجد والنقد بالفكاهة ، ومن الظريف أن تعرف — وإن كان خروجاً عن الموضوع — أن للشعر الشعبى قيمة ليست قليلة عند المهجريين وقد تدخل هذا الشعر فى الإعلانات عن البضائع والمتاجر ولشد ما يضحكك أن تقرأ البيتين الآتيين على لسان بنت تخاطب أمها :

تا أحلى بعين الشبان بلكى حـــد إينحطى
يا أمى بدى فـــتان من حرير لويس كنزى

وهذا اللون من الإعلانات بالشعر العامى يرجع بك إلى التأريخ العربى القديم فى قصة « المحلق » عند ما كسدت سوق بناته فلم يخطبهن أحد فاستضافه الأعشى وأطعمه وسقاه ثم طلب

إليه أن يشيد بذكره فكانت تلك القصيدة المشهورة التى منها فى وصف نار المحلق :

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق

ثم كان بعدها زواج بنات المحلق بأصدقة عالية . وفى قصة بائع «الخُمُر» حين لم يجد من يشترى شيئاً من بضاعته فاستنجد بأحد الشعراء وكانت تلك القصيدة التى منها :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ... ما ذا فعلت بناسك متعبد

وأما مجلتا «الشرق» و«العصبة» فإنهما أسمى مثال للفن الصحفى العالمى من حيث الطباعة والإتقان وأسمى مثال للأدب العربى فى عهده الحاضر من حيث التطور الفكرى والإبداع فى الشعر والنثر .

هذه لمحة استعراضية عن جهود إخواننا المهجريين فى بعث الأدب العربي والدعوة إلى العروبة فى المهاجر الغربية وتركيزها على قاعدة التطور ومماشاة الزمن .

أفلا يجدر بهذا الأدب أن يأخذ نصيبه فى مناهج الأدب الشرقى ومعاهد التعليم فيه ونشره بين الشباب التطلع إلى الحياة الجديدة ، ثم ألا يجدر بهذا الجيل أن يضيف إلى معلوماته عن امرئ القيس ، والمتنبى ، وشوقى ، والرصافى شيئاً عن جبران وميخائيل وإيليا ؟ .

إن مناهجنا التعليمية ودراساتنا الحديثة تجحف أشد الإجحاف بحقوق المهجريين بل بحقوق الأدب العربى والناشئة الحديثة ، وليس ذنب هذا الأدب إلا أنه عصارة الروح والعقل والمثل الإنسانية العليا ، وإلا كونه خالياً من الزخرف والصناعة والتقاليد . وحتى المطابع والمكتبات عندنا لا نجد فيها أثراً بارزاً لأدب المهجر إلا القليل الذى لا يغنى ولا يسمن . أليس من الغريب أن تبحث عن « الجداول » لإيليا أبى ماضى فلا تجد له أثراً فى مكتبات القاهرة مع أنه قد طبع فى أمريكا والعراق .

ولعلى قد خرجت عن الموضوع وتجاوزت إلى الزيادة فى القول فلأعد مرة ثانية لأشكر الأستاذ مناور عويس على اتجاهه هذا والتنويه بأدب ميخائيل نعيمه ويسرنى أن يكون انتخابه لبعض القطع الشعرية خالياً من الحذف والتحريف ولا سيما إذا كان المحذوف شطراً فى نهاية مقطع كحذفه قول الشاعر : بخشوع جاثيه . بعد قوله : « وتجزى كنبى هبط الوحى عليه » فى قصيدة « من أنت يا نفس » .

وكذكره البيت الآتى : أنت برق أنت رعد ... أنت ليل أنت فجر

مخالفا لنصه الأصلى : أنت شمس أنت رعد ... أنت برق أنت فجر

ولعل للأستاذ عذرا فى ذلك لأنه اعتمد على « همس الجفون » وفيه بعض المغايرات لما نشر قديماً فى الصحف والمجاميع ، وقد يكون ذلك من رأى الشاعر نفسه . ومهما يكن من شيء فإن هذه نبمات لا يؤاخذ عليها الكاتب الفاضل إلى جانب اهتمامه بالأدب المهجرى وخصوصاً أدب ميخائيل نعيمه.

إبراهيم الوائلى

الكتب

معالم تاريخ الانسانية

للكاتب الانجليزى هـ. ج ويلز

ترجمة الأستاذ عبد العزيز توفيق

المدرس بمدرسة مصر الجديدة الثانوية

ليس بين المثقفين من يجهل كتاب « معالم تاريخ الإنسانية » للكاتب الإنجليزى هـ.ج. ويلز الذى أصدره بعيد الحرب الكبرى الماضية ، وترجع شهرة هذا الكتاب القيم إلى أن ويلز عندما فكر فى المنازعات الدائمة والحروب المستمرة التى تخوضها الجماعات البشرية ، أدرك أنها إنما تعود إلى العصبية الدينية أو العنصرية أو الإقليمية ، وأنه لا سبيل إلى تقارب هذه الجماعات إلا بإيجاد مستوى سام من الثقافة تشترك فيه جميع الأجناس . وإلا بإعادة النظر فى التاريخ وكتابته من جديد كتابة موضوعية تبرأ من شوائب العصبيات وتقوم على أساس العلم الصحيح ، رابطة الأسباب بالمسببات ومسايرة ركب الحضارة فى نشأتها وتطورها حتى استقرت على حالها الذى نراه اليوم فى النزوع إلى التوحد وترسيخ المبادئ الديمقراطية وإقرار حقوق الإنسان وصيانة كرامته . فانطلق ويلز يؤسس كتابه هذا على مبادىء هذه الدعوة الشريفة .

« ومعالم تاريخ الإنسانية » هو حجر الزاوية بين مؤلفات ويلز الكثيرة التى عكف فيها على دراسة مشكلات الجماعة الإنسانية ، والتى يربط فيها بين تاريخ الإنسان وتاريخ الحياة على تمدد صورها وأشكالها .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى جميع اللغات الحية تقريباً وتأخر نقله إلى العربية حتى نهض الأستاذ عبد العزيز توفيق فترجمه فيما تيسر له طيلة أربع سنوات من كل ليل وكل نهار كما يقول فى المقدمة . وها هى لجنة التأليف والترجمة والنشر تصدر المجلد الأول منه ، حاوياً ثلاثة من أجزاء الكتاب الثمانية .

ولعل هذا المجلد الأول هو أعسر الأجزاء وأشقها على المترجمين لأنه يتناول الحقائق الفلكية والجيولوجية ويضم المعارف المتصلة بالحياة على الأرض قبل الإنسان ، ويفحص آثار الإنسان البدائى ، ويظهر كيف نشأت أجناس البشرية وتفرقت لغاتها ، وكيف تفتق الذهن الإنسانى عن عمليات التفكير مذ صارت له لغة . وكيف انتقل التفكير بالإنسان إلى البحث البدائى فى الاديان والفلسفة . وكيف نشأت الزراعة والرعى والملاحة . ويتتبع المدنيات الأولى من آشورية وبابلية ، ومصرية ويونانية ، ويبين خصائص هذه المدنيات ومظاهرها ويتغلغل فى مجتمعاتها . فالكتاب كله تاريخ اجتماعى للانسان . ولهذه الأبواب مصطلحات علمية لم ينقل بعضها إلى لغتنا العربية بعد ، أو لم يتفق المترجمون عليها . وقد بذل مترجم هذا السفر عناء كبيراً فى نقل هذه المصطلحات .

وويلز وإن كان علمى النشأة والتربية والنظرة ، إلا أنه صاحب أسلوب ممتاز ، جعله فى الطليعة من كتاب عصره وأدبائه ، وهو يعالج التاريخ فى هذا الكتاب بطريقة علمية لم يسبق أن تهيأت لغيره من كتاب التاريخ . والذين يطالعونه يقدرون له هذه المزية فضلا عن الأصالة فى التناول والأداء ؛ وهو إلى ذلك يقدم إلى القارىء ضروباً من التشويق والامتاع لا نظير لها فى كتاب آخر من كتب التاريخ العامة والخاصة على السواء . نرحب كل الترحيب بهذا الجزء راجين أن تبادر لجنة التأليف إلى إصدار أجزائه الأخرى ليأخذ مكانه اللائق به فى المكتبة العربية وهى أحوج ما تكون إليه وإلى أمثاله من جليل المؤلفات ، مقدرين للمترجم ما بذل فى تعريب هذا المؤلف الضخم من عناء وجهد . وبعد فهذا كتاب جليل يجب ألا تخلو منه مكتبة كل أديب وكل مثقف .

الخفيف

الخزف الاسلامى المبكر

تأليف الأستاذ أرثر لين

يعتمد مؤرخو الحضارات على الخزف لقياس مدنيات الأمم ، فهو من أولى الصناعات التى تمتزج بحياة الإنسان وتتصل بأهم أسباب معاشه ، أعنى بها طعامه وشرابه .

والشرق موطن الخزف كما هو موطن الحضارات والثقافات .

ولما كانت الحضارات تستقر أولا على ضفاف الأنهار — والنيل أقدمها وأعرقها — فقد رأينا المصريين القدماء يحرزون قصب السبق فى صناعة الخزف بل لقد توصلوا إلى استخدامه فى تزيين جدران إحدى قاعات الدفن فى هرم زوسر بسقاره فى أواخر الألف الثالث قبل مولد المسيح ، وهو أقدم ما نعرف عن استخدام الخزف فى تغطية الجدران ، بل لعله أقدم ما نعرف عن الخزف المطلى بالمينا جميعاً .

لهذا اهتم العلماء بالخزف فكتب عن الخزف الإسلامى من المصريين على بك بهجت ، ثم الدكتور زكى محمد حسن . ومن المستشرقين فيت وكونل ولام ممن خدموا جامعة فؤاد الأول ، وغيرهم كثير لا داعى لذكرهم ، حتى وصل إلى أيدينا أحدث المؤلفات بقلم الأستاذ أرثر لين أحد رجال متحف فكتوريا والبرت

والمؤلف عالم وقف دراساته على الخزف ؛ فكتب عن الخزف اليونانى والخزف الفرنسى ، ثم ها هو يكتب عن الخزف الإسلامى فيلم به إلماماً شاملا هادئاً ، ويعالج الشاكل القائمة فى تاريخ الفن بقوة ، ويطلعنا على تمكنه ورسوخه ، فلا يدفع به البحث إلى مزالق الهوى كما حدث للأستاذ بتلر فى مجلده الضخم « الخزف الاسلامى » .

وتناول المؤلف الدول الإسلامية فى مواطنها كلا على حدة ، فيما بين حدود الهند ووادى النيل ؛ فيبدأ بترجمة سريعة للنهضة الفنية والأحداث السياسية التى مهدت لها وأحاطت بها ، ثم يعكف على الأساليب الفنية فى صناعة الفخار والخزف ونقشه وتزيينه وتلميه بالمعادن والمينا فيقتلها بحثاً ، ثم يعرض لنا المراحل المختلفة التى يمر بها كل لون من ألوان هذا الفن الجميل من ناحية الصناعة ، ويكشف عن المواد الأولية ومزجها وحرقها والتصوير عليها حتى تخرج تحفة فنية .

والأستاذ (لين) منصف للفن والفنانين ، فهو يحدثنا عن التأثيرات الفنية الغريبة عن الإسلام كالبيزنطية والساسانية والصينية ، وكيف تمكن المسلمون من استيعابها جميعاً ومزجها مزجاً هيناً لطيفاً وكيف أضافوا إليها من ذوقهم الحساس وروحهم الشاعرة حتى أخرجوا منها عصارة فنية طيبة تفوح بأريج عبقرية الفنان المسلم . وكيف رسم الفنان المسلم خطوطاً واضحة لفنه تخلق له طابعاً فذاً فريداً له مميزاته الخاصة وشخصيته الواضحة . ثم يخلص المؤلف من هذا إلى المقارنة بين مختلف المدارس الفنية فى العالم الإسلامى فيبين خواصها ومميزاتها بوضوح وجلاء بعيدين عن التعقيد الذى يعمد إليه عادة الفنانون .

ويؤمن الكاتب بالرأى القائل بأن الأحاديث النبوية الشريفة التى تنهى عن استعمال الذهب والفضة كان لها أكبر الأثر فى سمو هذه الصناعة وبلوغها ذروة المجد : فإن الخلفاء التمسوا فى أوانى الخزف ما يختلف ما دته عن الذهب والفضة ولا يقل عنها رقة وفخامة وجمالا . ثم ما صحب عصر « النهضة الإسلامية فى دولة بنى العباس من تشجيع للعلوم والفنون ، جذب إلى بغداد وسامرا عباقرة الخزفيين من جميع بقاع العالم الإسلامى وأنشأوا مصانعهم حولها وأغدق عليهم الخلفاء ما شجعهم على التفنن والاتقان » .

أما فى مصر الفاطمية فللمصريين فخر إنشاء مدارس فنية تتمتع بذاتية لا تمة تنافس بها سائر المدارس حتى فى إيران نفسها ، وقد أصاب فنان الفاطميين رعشة من رعشات الفن الوافدة أوحت إليه من خزف الصين الذى كان زهرة أسواق الخزف فى العالم .

وأما من ناحية موقف الإسلام من التصوير ، فقد وافق على الكراهية التى أشاعتها الأحاديث الشريفة ولم يأت خبر تحريمها فى القرآن الكريم . على أن الخلفاء لم يتقيدوا كثيراً بهذه الكراهية ، سواء فى ذلك السنيون والشيعة .

ولما بدأ المغول يكيلون للضربات القاسية المتلاحقة للعالم الاسلامى فى مطلع القرن الرابع عشر وقف بنا البحث عند هذا الحد . فقد انتهى المؤلف من الكلام عن الخزف الإسلامى المبكر ويعدنا بأن يتناول ما يلى ذلك فيما يتبع من مؤلفات .

وبالكتاب أكثر من ٢٥٠ صورة ضوئية — أربع منها ملونة كما فى الأصل — مبين عليها مقاسات التحف وتاريخها وأماكن عرضها . وقد أخرجته مؤسسة (فابر أند فابر) إخراجا لا يقل أناقة عما كنا نراه من كتب ما قبل الحرب الأخيرة التى كانت السبب فى حبس التحف فى المخابىء ، وتعطيل الانتاج الفنى طوال هذه السنين .

ولنا أن نزجى التهنئة إلى الأستاذ المؤلف لتوفيقه فى بحثه الذى يهم كل متتبع لسيرة الحضارة الإسلامية وإنتاجها الفنى الفياض وكل مشتغل بالفن أو كاف به .

مصطفى كامل إبراهيم
وكيل اتحاد الثقافة الأثرية

حياتنا اليومية وعلاقتها بالقانون

تأليف الأستاذ كامل البهنساوي بك
القاضي بمحكمة مصر المختلطة

ليس أدل على صدق القول المأثور « يعرف الكتاب من عنوانه » من هذا الكتاب وعنوانه « حياتنا اليومية وعلاقتها بالقانون » وقد أذاعه مؤلفه الفاضل بالراديو قبل أن يضم فصوله في كتاب تتداوله الأيدي ، وهو ينبه فيه إذهان الناس إلى حقوقهم وواجباتهم ، ويرشدهم إلى السبيل الموصل إلى معرفة ما لابد من معرفته لأوليات القانون ، فقد شرح المؤلف أهمية القانون وعلاقته بالناس ، وبسط معنى « الحق والواجب وأساسها وعلاقتهما بالقوة » ثم نظر نظرة إجمالية تاريخية تشمل الأدوار التي نشأت فيها علاقة القانون بعلم الاجتماع والأطوار التي تحول إليها ، وتكلم في « كيف بدأ الإنسان يعرف حقوقه وكيف تكونت هذه الحقوق ، وإن القواعد القانونية هي في حقيقتها إما اقتصادية أو أخلاقية ، وقد تقرر لها جزاء مادي يسمى بالا كراه الاجتماعي ، وهذا الجزاء إنما هو رد فعل في نفس الجماعة ضد المخالف لها ، وأساسه شعور الفرد بالعدالة وإيجابها على أهل بيئته » .

وحدثنا عما أفضى إليه التطور في الدولة الواحدة من وجود السلطات الثلاث التي تسيرها وهي ، التشريعية والقضائية والتنفيذية ؛ ثم نظر نظرة في مختلف الشرائع القديمة والحديثة المتولدة من عوامل الثقافة الاجتماعية كالشريعة اليونانية والرومانية والإسلامية ثم الفرنسية ، وعن النظام الحكومي الذي يتولى خدمة القوانين وتعديلها وتنقيحها وتطبيقها وتفسيرها بما تقدم به السلطات التشريعية إصداراً ، والقضائية تفسيراً ، والتنفيذية إجراء وتطبيقاً ثم أوضح ما انتهت إليه الحال في مصر بعد تقرير الدستور فيها من تقديس سلطة الأمة ، وشرح شرحاً جلياً الجهاز الدستوري والبرلماني ، وذكر كيف جمت القوانين في مصر .

في الكتاب فصلان : الأول فيما آل إليه القضاء في مصر من مدني وتجاري وجنائي بعد أن كان محصوراً في المحاكم الشرعية إلى أن تولى حكم البلاد محمد علي الكبير ، وما كان من إنشاء مجلس الأحكام ، ثم في قيام المحاكم المختلطة في عهد الخديو إسماعيل والمحاكم الأهلية وما كانت هذه المحاكم الوطنية في بدئها وما انتهت إليه اليوم . والثاني بيان لأقسام القوانين من الضابط للرابطة الأولى فيما بينها ويسمى القانون العام ، ومنه يتفرع القانون الأساسي ، أي الدستور والقانون الجنائي ويلحق بهما تحقيق الجنايات ؛ إلى القانون الخاص ، ومنه يتفرع القانون المدني والتجاري ويلحق بهما قانون المرافعات .

ثم شرح واف في القانون المدني ، والبحث في طبيعة الأموال المنقولة والثابتة والفرق بينهما ، والحقوق التي يمكن أن تقرر عليها وكيفية اكتسابها ، ومتى تكون ملكية الشيء صحيحة وجائزة قانوناً ، ومتى لا تكون .

وقال في واجبات التجار « يجب على التاجر أن يمسك دفاتر منتظمة ، ويعد » دفتر يومية يشتمل على بيان ماله وما عليه ، وعلى بيان أعمال تجارته ، وبيان ما اشتراه أو باعه ، أو قبله أو أحاله من الأوراق التجارية ، وما أنفقه على منزله شهراً فشهراً ، وعدد الروابط القانونية بين الناس ومنها « الشخصية ، والأهلية ، ومحل الإقامة ، والشخصية المنوية أو الاعتبارية ، والميلاد والوفاة ، وفي الجمل لم يترك المؤلف ناحية من نواحي حياتنا وعلاقتها بالقانون لم يتناولها قلمه بالشرح الوافر والتبسيط الشامل الواضح

إن في الناس من يتوهم أن لا حاجة به إلى معرفة القانون ، وقد أوضح المؤلف البارع في كتابه القيم هذا وبيانه السليم بطلان هذا الوهم لأن ضرورات الحياة الاجتماعية ومستلزماتها تضطرنا إلى السير في طريقها القديم ، وليس سبيل حياتنا الحاضرة سوى مواد مستمدة من قوانين المجتمع ومن صنع الشعب .

يقول الشرع إن القانون إدارة منظمة غايتها مصلحة الجماعة الإنسانية ، ومصلحة الفرد . ويقول الرجل غير المتشرع أن القانون أداة تحايل تمكن القوي من الضعيف والأبرع من البارع ، والغني من الفقير ، والسيد من الأجير . ويقول رجل الفكر : الويل للأمة التي يتحايل سراتها على القوانين .

ح . ن



قلـــب موزع

للكاتب أنطون تشيكوف

بقلم الأديب كمال الدين الحجازى

عادت « ناديا زلينينا » وأمها من الملهى بعد أن شهدت إحدى الروايات ، وعندما دخلت غرفتها خلعت ملابس السهرة وأرخت شعرها وبدأت تكتب رسالة إلى حبيبها : « أحبك .. ولكنك لاتحبنى .. أجل لا تحبنى » ولما كتبت ذلك ابتسمت طويلا .

كانت ناديا فى السادسة عشرة من عمرها ، وكانت فتاة غريرة لم يطرق الحب قلبها ، إلا أنها كانت تعلم أن « جورنى » الضابط و « جرونذف » الطالب كانا يحبانها . ولكنها بعد مشاهدتها الرواية فى الملهى بدأ الشك يتسرب إلى قلبها فى حبهما لها ، وكم تمنت لوكانا يكرهانها حتى تصبح سعيدة . فما أجل أن يحب المرء شخصاً ويتهالك فى حبه ، بينما الآخر لايبادله ذلك الحب ! إن بطل الرواية « أونيجن » كان محقا عندما كان يهزأ بالحب ! بينما كانت « تاتيانا » تؤمن به . وقالت ناديا فى نفسها : ترى لو أحب كل منهما الآخر حباً شديداً هل يكونان سعيدين ؟ لا بل اعتقد أن السآمة ستنتابهما لا محالة ! ثم واصلت ناديا الكتابة إلى جورنى : « لا .. لا تزعم أنك تحبنى .. إننى لا أصدقك ، حقا إنك شجاع جداً ، ومثقف واسع الثقافة ؟ وأنك تنظر إلى المستقبل متفائلا ، إلا أننى فتاة ساذجة لا أصلح لك ، وأنت تعتقد فى قرارة نفسك أنك لاتستطيع العيش معى . إننى لا أنكر أنك تعلقت بى وأحببتنى واعتقدت أنك وجدت فىّ فتاة أحلامك ... إلا أنك مخطىء فى هذا الاعتقاد ، وكنت تسائل نفسك : لماذا أحببت هذه الفتاة ! وإننى أعتقد أن طيبة نفسك لا تعترف بذلك وما إن أتمت كلماتها هذه حتى بكت بكاء طويلا ! ولما خف بكاؤها واصلت الكتابة « كم تمنيت أن أرتدى لباس الراهبات وأذهب إلى الدير لولا أننى أخشى أن يكون ذلك عبئاً ثقيلا على أمى . . وعندها تستطيع أن تحب فتاة غيرى . . آه كم أتمنى الموت !! » وكانت تتساقط دموعها على الطاولة وتشكل أقواساً متقطعة . ثم كفت عن الكتابة وأسندت رأسها على الكرسى تفكر! كان جورنى جميل الخلق والخُلق ، وما أروعه فى الموسيقى ! وكم كنت أطرب لصوته العاطفى الحنون ! كان يخفى عنى حبه للموسيقى ، ولكننى عرفت وله بها ، ولولم يكن ضابطاً لكان موسيقاراً عظيما ! ولما كفت ناديا عن الكتابة . تذكرته وهو يناغيها بكلمات الحب والغرام ... وفجأة شعرت أن نفسها تكتب إلى حبيبها « جرونسدف » الطالب « إنه طالب ماهر ، وكان يسهر معنا بالأمس ، وكنا سعيدين حقاً » ثم مدت ذراعيها على المنضدة وأحنت رأسها ، فتذكرت أن جرونسدف يحبها وله الحق أن ينال فى كتابتها ما هو أهل له مثل جورنى . وشعرت أن طيفاً بدأ يداعب خيالها فأحست بسرور لم تعهده قبلا وانثالت عليها الذكريات بشدة ، وقد سرى هذا السرور من صدرها إلى يديها ورجليها ، فكأن نسيما عليلا داعبها وحرك شعرها فارتجفت ذراعاها فضحكت ضحكة هادئة ، فاهتزت المنضدة والمصباح كأنهما يشاركانها الفرح !! وكانت الدموع تتساقط على الرسالة ... ثم بدأت الذكريات تتوالى عليها كرة أخرى عن الطالب وحبه لها ، فتمددت هذه الذكريات فى رأسها وتغلبت عليها وأصبحت موزعة بين جميع الأشياء ، فبينما هى تفكر فى أمها إذ بها تفكر فى الشارع وفى قلمها وفى البيانو ، وكانت سعيدة فى تفكيرها ووجدت أن كل ما يخطر على بالها حسن وجميل ! وكانت تشعر أن السعادة تناديها قائلة : « ليس هذا كل شىء . . بل ستشعرين بسعادة أكثر فى الغد ، سيهل الربيع والصيف وسيذهب الحبيبان معك إلى «جوربكى» بصحبة أمك ، وسيزورك جورنى فى عطلته ، ويسير معك فى الحديقة فينتعش حبكما ، كما سيزورك جرونسدف وستلعبان معاً لعبة الكركت ويقص عليك قصصه الحلوة اللذيذة » ...

وعندما وجدت نفسها تسير فى الحديقة وتخيلت جورنى يسير معها فى ظلمة الليل ، ترعاهما النجوم وتحجبهما الأشجار عن أعين العذال ! فضحكت لهذه التخيلات الجميلة وتمنت لو تحققت فى الحال . ثم عادت إلى فراشها ولم تدر كيف توزع سرورها وفرحها بالقسطاس فقد تغلبت عليها ! فنظرت إلى تمثال المسيح المعلق فى صدر غرفتها وقالت : « يا إلهى ... يا إلهى ، كم أقاسى ! » ...

« القدس » كمال الدين الحجازى